6 me Année, No. 259
Lundi - 20 - 6 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الإعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات
الإدارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العـــدد ٢٥٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢١ ربيع الآخر سنة ١٣٥٧ — ٢٠ يونية سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهــــرس

صفحة

بين العـــرب والفرس

بمناسبة المصاهرة الملكية

من دلائل التوفيق وبشائر النُّجح فى توثيق ما أوهن الدهر من أواصر الأخوة بين دول الشرق الإسلامي، إصهارُ العرش الإيراني العريق إلى العرش المصرى المؤثَّل. فإن الغفوة الثقيلة الطويلة التى غفاها الشرق فى ظلال الضراعة والجهالة والخمول، قطعت الأسباب بين حاضره وماضيه، ومزقت الأوصال بين قاصيه ودانيه، فأصبح فلولاً لجيش باد، وطلولاً لمجد تقوض. فلما أذن الله لليل الشرق أن يُصبح، أيقظ العرب والترك والفرس، وهم الأمم الثلاث اللاتي سطعت بهن شمسه، وازدهر بمجدهن أمسه، وانتشر بفضلهن نوره، فانتعش ما ذوى من رجائه، وتجدد ما خوى من بنائه، وهبت العبقريات الساميَّة والآرية والطورانية تتفتح مرة أخرى فى ربيع الإسلام الدائم. وحضارة الإسلام، وإن شئت فقل حضارة الدنيا، كانت نتاجاً لازدواج الوحى العربى بالخيال الفارسى، نشأ منه هذا الأدب الإنسانى الذي حلل نوازع النفس، وهذا الفن العالمي الذى صور مدارك الحسّ، وهــذا التصوف

الفلسفى الذى ترجم غوامض الروح ، وذلك النظام الاجتماعى الذى جعل الحياة فناً وتمدين الناس طريقة

نعم كان لابد للفرس من العرب ليبصروا نور الحق، ويدركوا سمو النفس، ويعرفوا كلمة الله ؛ وكان لابد للعرب من الفرس ليعرفوا الدنيا ، ويذوقوا النعيم ، ويتملوا الملك . فلما جمع الله الشعبين العظيمين بالإسلام ، وربط بينهما بالضرورة ، نزت فى رأسيهما عصبية الدم النبيل وعزة النفس الحرة ، فأدلّ العرب بالدين والفتح والعروبة ، وتبجح الفرس بالسلطان التليد والتاريخ المجيد والحضارة الرفيعة ، فكان بين الأمتين ازورار طبيعى إذا اشتد كان عداوة ، وإذا خف كان مصانعة .

والشخصية العربية الغلابة التى استطاعت أن تذيب فى جنسها كل جنس ، وتبيد بلغتها كل لغة ، لم تستطع أن تعرّب الفرس ولا أن تقهر الفارسية . فبقى استقلال إيران فى القومية والطبيعة واللغة ، وزال أوكاد فى السياسة والعقلية والأدب . ثم تترّكت الخلافة فتترك هوى العرب ؛ وأرّث العثمانيون النار الخابية بين الشعبين بالخلاف المذهبى ، فانفرجت الحال وتنكر الأمر ، حتى قامت القيامة الصغرى فى الحرب العالمية الكبرى ، ووقف الشرق العزيز حيال الغرب المقتدر ، يحاوله فى وجوده ، ويصاوله على استقلاله ، فتخفف الترك من تكاليف الماضى المشترك ، وفروا بأنفسهم آوين إلى الأجواء الغربيه ، تاركين للعرب والفرس إنهاض الشرق الإسلامى اليوم ، كما أنهضوه من دونهم بالأمس ، فلم يكن للشقيقتين العريقتين بد من التكاتف على حمل هذه الأمانة العظيمة

* * *

إن الروابط الدينية والثقافية والتاريخية والاجتماعية التى تربط الفرس بالعرب لا يقوى على فصمها الدهر ، لأنها جزء من وجودهما العقلى والروحى لاسلطان لنعرة الجنس عليه ، ولا حيلة لأهواء السياسة فيه . وسيكون همُّ القيادة فى الشعبين إحكام هذه الروابط بالتآلف والتحالف والمودة، لأن وَحْدة الغرب تقتضى ضم الشتات بإزائها ، ونهضة الشرق تتطلب التكاتف على حمل أعبائها

* * *

إن مصاهرة إيران لمصر حادث جليل المغزى سيكون له فى سياسة الشرق الأدنى عظيم الأثر . وبحَسْبك أن تعلم أن طهران كادت تنهج سبيل أنقرة فى مجافاة الإسلام ومجانبة العرب ، فاتصالها بالقاهرة المحافظة على عقيدتها وشرقيتها وتقاليدها يفصلها عن القافلة الشاردة، ويُمسكها على سَنَنها الموروث، فتتطور ولا تتغير، وتتقدم ولا تحيد . فإذا نظرتَ إلى ما وراءُ ذلك رأيت هذه العلاقة الملكية الكريمة سفير وئام وسلام بين دولتين تجاورتا خمسة عشر قرناً ولا تزالان تطويان الصدور على حزازات الماضى . وستكون فاتحة الخير أن ينعقد فى حاضرة النيل مجلس إسلامى عام ينتظم أقطاب الدين والعلم فى أقطار الإسلام ليديروا الرأى فيه على ما أصاب المسلمين من صَدَعات الشيَع وضلالات البدع واختلافات المذاهب . ومن اليقين الجازم أن الدين — وهو دستور الأمة الإسلامية — إذا خلص من شوائب الجهل والغرض ضمن لأهله وحدة الرأى ووحدة الهوى ووحدة الغاية

* * *

ذلك إلهام الله فى سياسة الفاروق المعظم . فهو يدبر الأمر ويمضيه على توجيه من فطرته ودليل من قلبه . وكأنما اصطفاه الله اصطفاء لهذه الساعة المشهودة من حياة الشرق ، فزوده بالقول الثابت والرأى الثاقب والسداد المرتجَل والتوفيق الملهَم . فهو يولى وجهه شطر النور الأزلى الأبدى الذى ينبثق فى مثل هذه الفترات المَريجة فيبدد ظلام الحيرة ، ويجمع شتات الوحدة ، ويسدد الخطى الضالة فى الطريق الأمينة

إن دلائل الحال تعلن أن عهد الفاروق الموموق سيكون عهد الوحدة العربية ، والجامعة الإسلامية ، والعصبة الشرقية ؛ فهل آن لنصف الكرة الأول أن يهب من سباته . ويبرهن بيقظته على استمرار حياته ؟

احمد حسن الزيات

تأملات في الأدب والحياة

للأستاذ إسماعيل مظهر

الشعر والمادة

إن بين كثير من الأمور النفسية والعاطفية ، وبين كثير من الماديات تقابلاً ، حتى يخيل إليك أن الأشياء النفسية والعاطفية كأنها ماديات تحولت أشياء معنوية ، أو كأن الماديات أشياء معنوية استحالت جمادات

من ذلك أن بين الشعر والمادة تطابقاً من حيث أن لكل منهما « ماهية » لم يتوصل العلماء إلى معرفتها في المادة ، ولم يتوصل الأدباء والنقاد إلى معرفتها في الشعر . فإذا قيل مثلاً إن الأشياء الظاهرة في المادة إنما هي أعراض ينبغي أن يحملها جوهر فيه تكمن الماهية ، فكذلك يستطاع أن يقال في الشعر إن كل الصفات التي يقول الأدباء والنقاد إن من الواجب أن تتوفر في الشعر حتى يحكم عليه بأنه جيد ، إنما هي أعراض يحملها جوهر فيه تكمن ماهية الشعر

فإذا كان اللون والحجم والوزن والطول والعرض والثقل وما إلى ذلك جميعها أعراض ينبغي لكي تظهر لحواسنا أن تكون محمولة في جوهر ذي ماهية خاصة ؛ وإذا كان الوزن والقافية واللفظ والصناعة والمعنى والخيال وما إلى ذلك جميعها أعراض يحملها جوهر ، ما تلك إلا تعبيرات عنه ودلالات عليه ، إذن فأين المادة وأين الشعر ؟

أليس في مثل هذا التقابل بين الماديات والعاطفيات النفسية ، مواضع للتأمل ومواطن للاستبصار ؟

شاعرية الألفاظ

ما أقوى العلاقة القائمة بين الشعر وبين الحالات النفسية ! وعندي أن التأثر النفسي بالشعر أقوى الأسباب التي تدعونا إلى نقد الشعر . ذلك بأن المعايير النقدية التي يخضع الشعر لسلطانها ، على اختلافها وتباينها ، تتضاءل جميعاً إذا قيست بالمعيار النفسي . على أن للمعيار النفسي في نقد الشعر عوامل كثيرة ، منها الموسيقى المستمدة من القافية والروي ، ومنها قوة الخيال ، ومنها الاتجاه الذي يتوجه فيه الشعر إلى غير ذلك ، وجميعها عوامل تؤثر في المعيار النفسي في نقد الشعر . غير أن أقوى هذه العوامل تأثيراً معيار النقد النفسي للشعر ، إنما ينحصر في شاعرية الألفاظ

فقد نسمع من كثير من النقاد أن هذا الشاعر بارد الأنفاس ، وأن ذاك غير ماهر في اختيار الألفاظ ، من غير أن نحدد المعنى المقصود من أمثال تلك العبارتين تحديداً يرضاه المنطق وتقره طبيعة العقل ، إذ هي ترمي دائماً إلى تحديد معنى لكل لفظ مفرد ، وإلى تحديد معنى لكل عبارة تكونت من ألفاظ . فإذا أردنا أن نحدد ما يقصد من عبارات تجري بها في العادة أقلام النقاد والكتاب ، وجب أن نرجع بها إلى أصولها النفسية ، حتى نستطيع أن نفسرها تفسيراً منطقياً يقبله العقل وتقره ما فينا من طبيعة الميل إلى تحديد كل المعاني التي تتخذ الألفاظ والعبارات وسيلة إلى التعبير عنها

والواقع إننا نقول إن شاعراً بارد الأنفاس ، وإن آخر غير ماهر في اختيار الألفاظ ، إنما نعبر بهذا عن حقائق نفسية ، تنزل من أنفسنا منزلة أبعد الأشياء اندساساً في أغوار الفطرة. فقد نعلم أن من الحقائق النفسية ما دعاه النفسيون: « تداعي الأفكار » . فإن اللفظ الجميل المعنى يدعو إلى الفكر دائماً كل المعاني الجميلة التي تلابسه أو تقاربه ، ولفظاً قبيحاً أو محزناً يدعو إلى الفكر كل المعاني التي تدانيه أو تمت إليه بسبب من الأسباب . مثل ذلك إذا قلت: « الشاطىء المخضوضر » دعت هذه العبارة إلى ذهنك كل المعاني الجميلة التي تلابسها . فالنهر المنساب والماء الصافي والظل الوارف وصوادح الطير والرضا النفسي والأخذة الروحية ، كل هذه المعاني تواتيك غير مختار لمجرد أن العبارة الأولى قد حملها وعيك فدعا معها جميع المعاني التي ترتبط بها وجميع الملابسات المرحة الجميلة التي تلازم الشاطىء المخضوضر . وإذا قلت القبر الصامت — أو — « الصحراء المجدبة » دعت هذه العبارة إلى وعيك جميع المعاني المحزنة التي تلابس القبر والصحراء المحزونة الصماء.

هذه الحقيقة النفسية لها في نقد الشعر أعظم الأثر . فإن لفظاً جميل المعنى حسن الملابسات يدعو إلى الذهن شتى المعاني الأخاذة

الجذابة ، إن ورد في سياق الشعر أحدث في النفس شعوراً بالرضى والجمال وزاد إلى موسيقى الشعر القائمة على جمال الوزن والقافية ، موسيقى نفسية تزيد الشعر تأثيراً في النفس ، وتفتق الخيال ، فيشرف الوعي من خلال ذلك اللفظ على آفاق من الجمال اللامتناهي تزيد من قيمة الشعر بقدر ما يكون لألفاظه من أثر في استدعاء ألوان الجمال او التأمل أو العظة أو الحكمة إلى غير ذلك . وعكس هذا تماماً ما يحدثه لفظ رديء الملابسات فاسد المعنى . وهذا ولا شك ما يقصد النقاد إذ يقولون بأن الألفاظ شاعرية . على أن شاعرية الألفاظ إنما يحددها دائماً استعمال اللفظ في حيث ينبغي أن يستعمل فيكون مطابقاً دائماً لمقتضى الحال .

الشرق والثورة

حدثني صديق ممن تجمعني به ذكريات عزيزة : ذكريات الثورة المصرية ، عند ما كانت أنفاسنا حارة كاللهب المضطرم ، وكانت أرواحنا مشبوبة كاللظى المتأجج . لهيب الشباب ولظى الفتوة . لم يكن عهد الكهولة قد أصاب شيئاً من تأملنا أوحفزنا بعد إلى اللجوء إلى قواعد المرجحات العقلية التي هي عندنا اليوم أشبه شيء بقانون المرجحات الرياضية ، فاما أن نرضيها واما أن نعتقد اننا على غير صواب ، وإننا إلى الشطط أقرب . حدثني ذلك الصديق عن الشباب وعن أيام الجهاد المستمر والسعي المتجدد في سبيل إذكاء روح الثورة في نفس الجماهير ، وذكرني بما كان لنا من مواقف نعجب الآن كيف خرجنا منها وفينا نفس يردد أو عرق ينبض . كيف لم يحصدنا الرصاص . وكيف لم تسل أنفسنا على شفرات السيوف ؟ كيف هزأنا بالموت غير مقدرين أن الموت كان أقرب إلينا من حبل الوريد أشهراً طوالاً بل أعواماً ، وكيف خلصنا من جميع هذا بأرواح سليمة وجسوم لم يصبها كلم واحد !

قلت له في خلال الحديث ما أشهى تلك الأيام ! فان للمخاطرة بالروح لجمالاً لا يدركه الانسان إلا بعد أن يفوز بالسلامة . ذلك جمال أشبه بجمال الفقر الذي لا يدركه الانسان إلا بعد أن يلوذ بالغنى . ولعل الأمر على عكس ما يخيل إلينا ؛ ولعل الواقع أن المخاطرة والفقر ليس فيهما من جمال، وأن ما نستشعر من جمال فيهما بعد الفرار من آصارهما قد يكون جمال الذكريات الماضيات إذ تحيي في النفس جزءاً من ماضيها ، وتطبعها بطابع قديم كاد يبلى على الأيام.

قلت لصديق من لنا بمثل تلك الأيام ؟

قال الصديق : نعم نحن في احتياج إلى ثورة . إلى ثورة طاحنة تمضي بكل ما يقف في طريقها ، وتأتي على كل ما يقاومها ؛ ثورة شيطانية لا عقل فيها ؛ ثورة مبرأة من الرشاد والحب والنهى . ثورة طائشة مجتاحة تأكل الحرث والنسل ؛ ولكنها ثورة لا تنال من الجسوم ولا من الحطام ؛ ثورة لا شأن لها بنظام قائم ولا بحكومة ولا بجيش ولا بأسطول ؛ ثورة منزهة عن السيف والمدفع ، وعن المدية والخنجر ؛ ثورة لا يقوم بها جمهور من الناس ولا جماعات منهم ؛ بل ثورة فردية يشنها كل فرد منا على نفسه ؛ ثورة نفسية يتسلح فيها كل فرد منا بالارادة وبروح يهدم من أخلاقه ومن ميوله ومن نزعاته التي كونها فينا تاريخنا القديم ؛ ثورة تقتل فيها الارادة حبنا للسلامة وتواكلنا على الأقدار وصمتنا عن الحق والحق مهضوم مأكول ، كأننا قد أصبحنا جميعاً شياطين خرساً ، والساكت عن الحق شيطان أخرس ؛ ثورة تحطم مُثُلنا الأخلاقية القديمة ، لتتبدل بها مُثلاً عليا من تلك المثل التي قادت أوائلنا بجيوشهم ومدنيتهم وعلومهم من شاطيء بحر الظلمات إلى جوف الصين

وكان صديقي يتكلم متهدج الصوت منفعل النفس ثائر الوجدان . فلما فرغ من حديثه ، شملنا صمت عميق ظل يسود مجلسنا حتى افترقنا لم يجر لساننا بكلمة واحدة

الطغرائي الشاعر

هو من أفذاذ الشعراء ، ومن أهل البيان الذين يشار إليهم بالبنان . أنكره أهل زمانه على القاعدة السائدة في هذه الدنيا . وليس في ذلك عجب ؛ ذلك بأن نكران الأفذاذ في زمانهم سنة أهل الشرق منذ أقدم عصورهم . وهذا الطغرائي على جلالة قدره يقول :

مالي وللحاسدين؟ لا برحت ... تذوب أكبادهم وتنفطر
يتنابني عند غيبتي نفر ... جباههم إن حضرت تنعفر
ألسنة في إساءتي ذُلُق ... يقتادها من مهابتي حصر
أنام عنهم ملء الجفون إذا ... أثارهم في المضاجع الإبر
يكفيهم ما بهم إذا نظروا ... إليّ ملء العيون لا نظروا
تغيظهم رتبتي ويكمدهم ... جاهي فصفوى عليهم كدر

فنعمة الله وهى سابغة عندي من الحاسدين تنتصر
يعجبنى أنهم إذا كثروا قَلُّوا غناء وإن هم كثروا

وليس من عجب فى أن يحقد جماعة على الطغرائى في زمانه ، وليس من عجب في أن يقول فيهم الطغرائى هذه الأبيات وأكثر منها مما يتضمن ديوانه . ولكن العجب فى أن يُهمل الطغرائى فى زماننا فلا يتناوله كاتب بنقد ولا يذكره أديب ببحث، كأن هذا الشاعر العظيم من مطويات الأدب ، تلك التى تطوى فلا تنشر ، وتنسى فلا تذكر . ذلك فى حين أن المتأمل فى شعر هذا الرجل الفذ يدرك فيه سراً قلما تقع عليه فى غيره من الشعراء : لا فى شعراء عصره ولا فى الشعراء الذين تقدموه ، ولا فى الشعراء الذين تلوه. وعندى أن هذا السر لا يشاركه فيه إلا شاعر واحد هو أبو العلاء المعرى . أما ذلك السر فهو الجمع بين قوة الشاعرية ودقة الاحساس وصادق الوجدان وبين هدوء الطبع . أما إن ذلك سر من أسرار العظمة فى الطغرائى ، بل لا نبالغ إذا قلنا إنه سر عظمته ، فذلك بأن الشعر عاطفة وخيال وحركة نفسية جياشة دافقة سيالة ، فاذا حكم هذه الصفات هدوء نفس طبيعى ، صفا الشعر ورق وانساب انسياب الجدول المترقرق الهادئ ، ولكنه فى ترقرقه وهدوئه حادٌّ كالسيف قاطع كالفأس الباترة المحدودة

وأبو العلاء المعرى إن شارك الطغرائى هذا السر ، فلا شك فى أنه فى نفسية الطغرائى أرس وأذهب فى الوجدان . فان أبا العلاء شاعر حكيم بطبعه متشائم بفطرته . حمل على المرأة وطغى على الانسانية ، حتى لقد أراد أن يهدم كل قائم من غير أن يعرف كيف يقيم غيره ، وأن يدك كل أساس عملى فى الحياة من غير أن يرسم للحياة طريقاً جديداً . ذلك على العكس من الطغرائى فانه عاش مع المرأة واندفع فى غمرات الحياة وشرب من أفاويقها حلوة ومرة ، فكان من صميم أهل الدنيا . فاذا لازم أبا العلاء شىء من هدوء الطبع ظهر أثره فى شعره فذلك طبيعى بمقتضى النشأة والاتجاه الفكرى . أما أن يلازم الطغرائى ذلك الهدوء وتحكمه تلك الطمأنينة ، وهو بعد مغمور فى الحياة محب لها هائم بمباهجها لَمّاحٌ لما فيها من مغريات ومفاتن ، فذلك سر من العظمة لا تألفه فى الشعراء

ولقد يظهر أثر هذا السر في مرثياته ، وهي أبعد الأشياء عن أن يلزم فيها شاعر هدوء نفسه وطبعه فلا يغلب عليه خيال جامح إلى غايات من الشعر يسبح من خلالها الشاعر فى عالم من الخيال البعيد المعلق بآفاق الوهم القصية . وله فى الرثاء مقطوعة رثى بها عزيزة عليه ، تلمح من خلالها مقدار ما لاقى فى فراقها من لوعة عميقة الأثر بالغة الخطر ، ولكنك تلمح فيها أيضاً ذلك الهدوء النفسى الذى يبلغ من قرارة نفسك مبلغاً لا تبلغه ثورة الشعر:

ولم أنسها والموت يقبض كفها ويبسطها والعين ترنو وتطرق
وقد دمعت أجفانها فوق خدها جنى نرجس فيه الندى يترقرق
وحلَّ من المقدور ما كنت أتقى وحُمَّ من المحذور ما كنت أفرق
وقيل فراق لا تلاق بعده ولا زاد إلا حسرة وتحرق
فلو أن نفساً قبل محتوم يومها
قضت حسرات كانت الروح تزهق
هلال ثوي من قبل أن تم نوره وغصن ذوى فينانه وهو مورق
فواعجبا أنَّى أحم اجتماعنا ويا حسرتى من أين حلَّ التفرق
أحنُّ إليها إن تراخى مزارها وأبكى عليها إن تدانى وأشهق
وأبلس حتى ما أبين كأنما تدور بى الأرض الفضاء وأصعق
وألصقها طوراً بصدرى فأشتفى وأمسحها حيناً بكفى فتعبق
وما زرتها إلا توهمت أنها بثوبى من وجدى بها تتعلق
وأحسبها والحجب بينى وبينها تعى من وراء الترب قولى فتنطق
وأشعر قلبى اليأس عنها تصبرا فيرجع مرتاباً به لا يصدق

هذا شعر صادق الدلالة على الحقائق التي أحاطت بالشاعر وعلى الاحساسات التى اختلجت بها نفسه . قد تكون فيه لمحات من شعر الرثاء فى شعر غيره من الشعراء ؛ ولكن فيه إلى جانب هذا سر جديد عليك . ذلك ما تدرك من هدوء هذه النفس الثائرة كأنما ترى أرضاً انبسطت ونما فوقها العشب وغشتها الأزاهير ، وأنت تسمع من تحتها دوى البراكين وهمهمة الزلازل تغلى فى باطنها

ولقد حاولت أن أطلق على هذه الظاهرة العجيبة فى شعر الطغرائى اسماً أميزها به ، فلم أجد اسماً أطلقه عليها أجدر بها من أن ندعو « الواقعية الشعرية » فانها والحق يقال أقرب الأشياء فهماً مما ندعوه «الواقعية فى الفلسفة» على أن المقارنة بين واقعية الشعر وواقعية الفلسفة يحتاج إلى فراغ ليس هذا مكانه ، أما إذا

أردت أن تقف على طرف مما ذكرت فاقرأ له القطوعة الآتية :

أقول لنِضْوي وهو من شجني خلو
حنانيك قد أدميت كلمي يا نضو
تعالى أقاسمك الهموم لتعلمي بأنك مما تشتكي كبدي خلو
تريدين مرعى الريف والبدو أبتغي وما يستوي الريف العراق والبدو
هناك نسيم الريح مثلك لاغبٌ ومثلي ماء المزن مورده صَفْو
ومحجوبة لو هبت الريح أرقلت إليها الغياري بالموالي ولم يلْووا
صبوت إليها وهي ممنوعة الحمى فحتىَّ مَ أصبو نحو من لا له نحو
هوى ليس يسلي القرب عنه ولا النَّوى
وشجو قديم ليس يشبهه شجو
فأسر ولافك، ووجد ولا أسىً وسقم ولا برء ، وسكر ولا صحو
عناء معنى وهو عندي راحة وسم زعاف طعمه في فمي حلو
ولولا الهوى ما شاقني لمح بارق ولا هدني شجو ولا هزني شدو

إن في هذا الشعر لثورة يخيم عليها هدوء نفسي قلما تأنسه في شاعر غيره . وعندي أن هذه الصفة لم تتجلَّ في شعر الطغرائي بقدر ما تجلت في لاميته المعروفة ، وإن لنا لعودة إليها نحلل فيها هذا الشاعر الكبير على ضوء هذه الحقيقة الملموسة في شعره . ولقد يحفزنا إلى درس الطغرائي أنه شاعر فسيح الجوانب مديد الغايات وفي شعره تعلق بأسباب الأدب العالي ، وما أحوجنا إلى هذه الأسباب

اسماعيل مظهر

حـــواء

ديوان شعر طريف في الغزل العرفاني من نظم الأستاذ الحوماني تحت الطبع ، تحمل الرسالة منه إلى قرائها عدة نماذج قبل صدوره

رَبَّ حواء !

ربَّ حواء ! حين صوّرتَ حوا ءَكَ هل كان قبلها تصويرُ ؟؟
والشعورَ اللاتي نشرتَ عليها هل طوى الليلَ قبلهن شعور؟؟
والعيون اللاتي شققتَ لها هل كان من قبلها عيونٌ حورُ ؟؟
أوَهل بعدها يشع على الأحـــداقِ من عالَمِ الملائك نورُ ؟؟
وتُرينا كثغرها وكعينيـــها السموات أعينٌ وثغورُ ؟؟
كبُرت أن تكون قبلاً و بعداً والذي خصها بذاك كبيرُ ؟
هي بيت القصيد من شعركَ المنـــظوم والكونُ شعرك المنثور

أنبئيني

أنبئيني عمـــا يجول بعينيـــكِ وما لا يجول من أسرار
لا بعيني اللائي من النور أشرفـــتُ على كنهها ولا أفكاري
كلما ضحّتِ الحقيقـــة في أذ نيَّ أخلدتُ للخيال الساري
وتسنمتُ ذرْوة الأفق الأعـــلى إلى كل كوكب سيّار
فأرتني عيناكِ أنك في آ فاقها بعض هـــذه الأقمار
وعلى الأرض بعض هذي التماثيـــلِ من الناس أو من الأحجار
وأرتني عيناكِ أنيَ والكو نَ غريقانِ منكِ في تيّار

الحوماني

قصة الكلمة المترجمة

(القتل أنفى للقتل)

لأستاذ جليل

تلاقت عبقرية الأستاذ (الرافعى) — رحمه الله — في الأدب وعبقرية الأستاذ (العريان) فى الوفاء؛ وأوحت الأولى إلى الثانية (وحيها) فكانت (حياة الرافعى)، أو هذه (المقالات الرافعية) فى (الرسالة الغراء) وقد رآها الناس فى هذا العام نجوماً، وسيجتلونه بعد حين بدراً بل شمساً ذات أضواء فى كتاب. ولم تجتزئ هذه (المقالات) بخيرها العميم وفضلها العظيم — وإنهما لحسبان — بل جلب الخير خيراً، وساق الفضل فضلاً؛ فقال الأستاذ محمود محمد شاكر (مقاله)، وجادل الأستاذ سيد قطب (جداله)، ولو لم يكن الرافعىُّ قطب أقطاب ماحدَّث عنه قطب...

وما هذه الأحاديث التى أنصها اليوم فى الرسالة

ونُصَّ الحديثَ إلى أهله فإن الوثيقة فى نصِّه[1]

إلا من إحسان تلك المقالات التى أفضل بها إلى العربية فتى الفتيان وسيد الشبان الأستاذ محمد سعيد العريان

* * *

أشار الأستاذ محمد سعيد فى (المقالة السابعة والعشرين) من مقالاته الرشيقة الأنيقة الرافعية إلى حكاية الكلمة الفارسية (القتل أنفى للقتل) وإنى لأظن أن كثيرين من الأدباء والباحثين يودون أن يعرفوا تلك القصة بكمالها، فهأنذا أحكيها، وسأروى طائفة من الأقوال فى الكلمة الفارسية، وقد تقتضى الحال زيادة فى هذا القصص للإفادة والتبيين و«الحديث ذو شجون» فأمليها

* * *

كتب صاحب (العثرات فى اللغة والأدب) فى الرابعة والأربعين من (عثراته) في جريدة (كوكب الشرق الغراء) فى (٧ رجب ١٣٥٢) كلمة عنوانها (موازنة) قال فيها: «قالت العرب قديماً فى معنى القصاص وأنه جُنَّة من العدوان: (القتل أنفى للقتل)، ثم أقبل القرآن الكريم على آثار العرب فقال: «ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب» وقالت: (موازنة العثرات): «هى — أى عبارة القتل — كلمة عربية جاهلية» ثم سطرت شيئاً، محصوله[1] أن الكلمة الفارسية قد فاتت الآية القرآنية

والمقايسة بين الشيئين قد اختلف أيَّما اختلاف قدْراهما، وتفاوتت كل التفاوت حالتاهما — تذكرنا بهذه الأملوحة فى (عيون الأخبار) لابن قتيبة: «نافر رجل من جَرْم رجلاً من الأنصار إلى رجل من قريش، فقال القرشى للجرمى: أبالجاهلية تفاخره أم بالاسلام؟

قال: بالاسلام

قال: كيف تفاخره وهم آووا رسول الله ونصروه حتى أظهر الله الاسلام؟!

قال الجرمى: فكيف تكون قلة الحياء ...؟»

أفظعت (موازنة العثرات) وارتقب المرتقبون البيان الحق والقول الفصل فى ذاك الهزل، فظهرت فى جريدة (كوكب الشرق ١٢ رجب ١٣٥٢) كلمة عنوانها (قالته الفارسية، وتنكره العربية، القتل أنفى للقتل) أعلن فيها أن هذه المقولة ليست جاهلية ولاعربية ولامولدة، وأنها مترجمة. ومما قالته الكلمة: «أجل العربية المحكمة المبينة أن تقول هذا القول: (القتل أنفى للقتل) إنها لا تعرفه، إنها تنكره، ولو قالته — وهو يبدو حكمة ومثلاً — لرونه رواتها، فلا الميدانى صاحب (مجمع الأمثال) عرفه، وقد جمع فى كتابه أكثر من ستة آلاف مثل، ولا ابن عبد ربه سمع به، ولو نمى[2] فى (الجزيرة) لانتظمته (جوهرة أمثاله) ولا أبو بكر البلاقلاني اشتمل عليه كتابه (إعجاز القرآن) ولا عبد القاهر أشار إليه فى (دلائل الاعجاز) ولا (كشاف جار الله) وجدناه فيه. ودع كلام الذائدين عن (الكتاب) فى إيراده معزوًّا إلى العرب وما سطروا. إنه قول ما قالته العربية ولا مولدوها، وإنما هو كلام فارسي نقله الناقل — وربما أخطأت

(١) رواه الزمخشرى فى الأساس

(١) محصول مراده فيه وجهان أحدهما أن يكون مصدراً وضع موضع الفاعل، والثانى أن يقال إن حصله بمعنى حصله بالتشديد (الأساس)

(٢) نمى ينمى، ومنه نامية الله خلقه لأنهم ينمون، وربما قالوا: ينمو نمواً (الاساس، اللسان)

الترجمة — ورائحتها فيه تكاد تفوح . ولو قالته العربية ما قالت : (القتل أنفى للقتل) وهى تريد أن القتل يزيل القتل ، أو يستأصله أو يفنيه ، ونفى القتل لا يبيده ، ونفى المجرم القاتل لا يريح الناس منه ... ومادة (ن ف ى) كاشفة ما يلتبس »

وقالت الكلمة : « ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب — قول عربى ، قول قرآنى لا يستقل بوصفه — إذا احتيج إلى وصفه — إلا بلاغة النبى ، بل هو يصف نفسه ، ويبان فضله ، وينادى إعجازه على إعجازه و (القتل أنفى للقتل) قول فارسى ، نقله مترجم عربى ، وفيه ضعف . معناه كريم ، ولفظه لئيم ، قاله (أردشير) الملك . قال الامام الثعالبي في (الايجاز والاعجاز) : من أراد أن يعرف جوامع الكلم ويتنبه لفضل الاختصار ، ويحيط ببلاغة الايماء ، ويفطن لكفاية الايجاز — فليتدبر القرآن ، وليتأمل علوه على سائر الكلام ، فمن ذلك قوله (عز اسمه) : ولكم في القصاص حياة . ويحكى عن أردشير الملك ما ترجمه بعض البلغاء أنه قال : (القتل أنفى للقتل) ففي كلام الله تعالى كل ما في كلام أردشير وزيادة معان حسنة ، منها إبانة العدل بذكر القصاص ، والافصاح عن الغرض المطلوب فيه من الحياة ، والحث بالرغبة والرهبة على تنفيذ حكم الله والجمع بين القصاص والحياة ، والبعد من التكرير الذى يشق على النفس فان في قوله القتل أنفى للقتل تكريراً ، غيره أبلغ منه »

وأشارت (الكلمة) في (الكوكب) إلى إيجاز الآية الكريمة وإعجازها ، وروت قولا لصاحب (دلائل الاعجاز) في « الموازنة بين بعض الآى وبين ما يقوله الناس في معناها » ونقلت كلام (الكشاف) في تلك الآية المعجزة

ثم ظهر مقال بليغ فائق للأستاذ الرافعي (رحمه الله) في جريدة البلاغ (١٥) رجب سنة ١٣٥٢ عنوانه (كلمة مؤمنة في رد كلمة كافرة) قال فيه : « لقد تنبأ القاضى الباقلاني قبل مئات السنين بمقالة الكوكب هذى فأسلفها الرد بقوله : فان اشتبه على متأدب أو متشاعر أو ناشئ أو مرمد[1] فصاحة القرآن وموقع بلاغته وعجيب براعته — فما عليك منه ، إنما يخبر عن نفسه ويدل على عجزه ، ويبين عن جهله ، ويصرح بسخافة فهمه وركاكة عقله »

وقال الأستاذ الرافعي (رحمه الله) : أنا أقرر أن هذه الكلمة مولدة وضعت بعد نزول القرآن الكريم وأخذت من الآية ، والتوليد فيها بيّن ، وأثر الصنعة ظاهر عليها ، فعلى الكاتب أن يدفع هذا بما يثبت أنها مما صح نقله عن الجاهلية »

ثم أوضح (رحمه الله) وهن الكلمة الفارسية أيما إيضاح ، ثم أبان ببيانه العالى فضائل الآية الكريمة ومما قاله :

« ومن إعجاز هذه اللفظة أنها باختيارها دون كلمة القتل تشير إلى أنه سيأتى في عصور الانسانية العالمة المتحضرة عصر لا يرى فيه قتل القاتل بجنايته إلا شراً من قتل المقتول ، لأن المقتول يهلك بأسباب كثيرة مختلفة على حين أن أخذ القاتل بقتله ليس فيه إلا نية قتله ، فعبّرت الآية باللغة التى تلائم هذا العصر القانونى الفلسفى ، وجاءت بالكلمة التى لن تجد في هذه اللغة ما يجزئ عنها في الاتساع لكل ما يراد بها من فلسفة العقوبة »

« إن لفظ (حياة) هو في حقيقته الفلسفية أعم من التعبير (بنفى القتل) لأن نفى القتل إنما هو حياة واحدة ، أى ترك الروح في الجسم ، فلا يحتمل شيئاً من المعانى السامية وليس فيه غير هذا المعنى الطبيعي الساذج ، وتعبير الكلمة العربية عن الحياة (بنفي القتل) تعبير غليظ عامي »

« جعلُ نتيجة القتل حياة من أعجب ما في الشعر ، يسمو إلى الغاية من الخيال ، ولكن أعجب ما فيه أنه ليس خيالا بل يتحول إلى تعبير علمى يسمو إلى الغاية من الدقة ، كأنه يقول بلسان العلم : في نوع من سلب الحياة نوع من إيجاب الحياة »

« فاذا تأملت ما تقدم وأنعمت فيه تحققت أن الآية الكريمة لا يتم إعجازها إلا بمـا تمت به من قوله (يا أولى الألباب) فهذا نداء عجيب يسجد له من يفهمه إذ هو موجه للعرب في ظاهره على قدر ما بلغوا من معانى اللب ، ولكنه في حقيقته موجه لاقامة البرهان على طائفة من فلاسفة القانون والاجتماع هم هؤلاء الذين يرون إجرام المجرم شذوذاً في التركيب العصبى ، أو وراثة محتومة ، أو حالة نفسية قاهرة إلى ما يجرى هذا المجرى ، فمن

(١) مرمد في رواية المقال في البلاغ وفي النسخة المطبوعة من (إعجاز القرآن) وأظن أن أصلها متدىء ، وقد حرفت الكلمة في مكان آخر في كتاب الباقلاني : « وإن كنت في الصنيعة مرمداً وفي المعرفة بها متوسطاً فلا بد من التقليد » والمرمد الفقير وبفتح الميم الثانية . الهالك وأرمد الله العين فهي رمدة وهو أرمد ورمد

ثم يرون أن لا عقاب على جريمة لأن المجرم عندهم مريض له حكم المرضى ، وهذه فلسفة تحتملها الأدمغة والكتب ، وهي تحول القلب إلى مصلحة الفرد ، وتصرفه عن مصلحة المجتمع ، فتهم الله إلى ألبابهم دون عقولهم كأن يقرر لهم أن حقيقة العلم ليست بالعقل والرأى ، بل هي من قبل ذلك باللب والبصيرة ، وفلسفة اللب هذه هي آخر ما انتهت إليه فلسفة الدنيا »

« وانتهت الآية بقوله تعالى : (لعلكم تتقون) وهي كلمة من لغة كل زمن ، ومعناها في زمننا نحن يا أولى الألباب، أنه برهان الحياة في حكمة القصاص نسوقه لكم، لعلكم تتقون على الحياة الاجتماعية عاقبة خلافه ، فاجعلوا وجهتكم إلى وقاية المجتمع لا إلى وقاية الفرد »

هذا بعض ما قاله فقيد العربية الأستاذ الرافعي (رحمه الله وكافأه) ولما اطلع الأستاذ النشاشيبي على هذا المقال البليغ في (البلاغ) بعث إلى هذه الجريدة بكلمة عنوانها : (إنها مترجمة) نشرتها في ١٩ من رجب ١٣٥٢ بعد مقدمة منها ، ومما جاء في تلك الكلمة : « قال الأديب الكبير الأستاذ مصطفى صادق الرافعي في رده في (البلاغ) على[1] كاتب في (الكوكب) : (إن القتل أنفى للقتل مولدة وأنها مأخوذة من آية) ومعاذ الله أن تكون مولدة ، وأن تكون قد أخذت من آية ، ولو كان ذلك لوجدنا عليها مسحة[2] — وإن قلت — من الجمال القرآني وها هي ذي ، كما يراها رائيها ، لا تكلف أحداً في البشاعة وصفها فهي ليست بعربية ولا بمولدة ، ولم تبصر في يوم ضياء القرآن ، بل هي مترجمة ، وربما أخطأ الناقل في الترجمة »

(للقصة بقية)

* * *

(١) في القاموس واللسان : رد عليه : خطأه بالتشديد ، وللامام الجاحظ كتاب الرد على النصارى . وقد سمعت بعض الفضلاء يقول : لا يقال رد عليه بل رده ! وفي مقدمة (الكشاف) : ورد ورد عليه

(٢) على وجهه مسحة ملك ومسحة جمال أى أثر ظاهر منه ، ولا يقال ذلك إلا في المدح (النهاية) الأزهرى : العرب تقول : به مسحة من هزال وبه مسحة من سمن وجمال (اللسان)

فلسفة التربية

تطبيقات على التربية في مصر

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٢١ —

« يجب أن تكون المدرسة صورة مصغرة للمجتمع المنشود »

« *** »

« الديمقراطية هي النظام الذى يمكن الجميع من تحقيق أقصى مجهوداتهم » « باستور »

« يجب أن تكون أعمال الفرد في الجماعة الديمقراطية شائقة جذابة » « وولف »

١١ — سبيل الاصلاح

واليوم ماذا أقول ؟ لقد عرضت عليك فيما مضى صورة واضحة لشخصية خريج معاهدنا بما فيها من عقل وعاطفة وجسم ، وبينت لك أن هذه الشخصية لا تتفق وروح التربية الحديثة في أقل القليل ، ولا تصلح لأن تحقق آمال الوطن في صون الاستقلال وتزعم الشرق وإحياء المجد القديم ! فلم يبق اليوم إلا أن أسير معك إلى طريق الاصلاح علنا نصيب هنالك شيئاً :

١ — مجلس أعلى للتربية والتعليم

وكثيراً ما تناولت الصحف أمر هذا المجلس بالحديث ، ولكن قليلا ما عنيت الحكومة به وأخرجته إلى حيز الوجود ! وأنت لا تكاد تجد دولة راقية بغير هذا المجلس الخطير ، ولا تستطيع أن تتصور اتزاناً واستقراراً في ناحية البرامج المدرسية إلا إذا كان مصدر هذه البرامج لجنة فنية راقية ثابتة تمثل جميع الهيئات المتصلة بنواحي التعليم كالمدرسين والنظار ، وعمداء الكليات ورؤساء النقابات ، ورجال الأعمال وزعماء الأحزاب والأديان ؛ فإذا ما أوجدنا مثل هذا المجلس أمكننا أن نوفق بين تجارب المدرسين والنظار ورؤساء الأعمال ، وبين الخطط الدراسية والمناهج التعليمية وحاجات البلاد ، وبذلك تكون لدينا غاية معلومة لها فلسفتها الخاصة ، وخطة مرسومة توصل إلى هذه

الثابة ، واستقرار دائم يساعد على إحكام التجارب ويغذى مختلف النواحى بما يحقق نجاحها المنشود ! أما الاقتصار على عدة لجان تمحو اليوم ما قررته بالأمس ، وتسير بالسياسة العامة للتربية على غير هدى من التجارب الكافية أو الغايات الاجتماعية والاقتصادية والفنية المختلفة ، فذلك كما ترى فصل بين المدارس والمجتمع ، وإغفال لأسس وطيدة لا سبيل إلى النجاح والاستقرار بدونها

فترى هل يعمل معالى الوزير الحالى على تكوين هذا المجلس بعد أن توانى فى تكوينه الوزراء السابقون ؟ أملنا فى معاليه كبير!

٢ — قضية المعلمين

وأحسب أن أول ما يجب أن ينظر فيه هذا المجلس هو قضية المعلمين . وذلك أنك قد علمت فيما مضي أنهم اليد العاملة فى تكوين النشء الموموقين ، وأن عدم التدقيق فى اختيارهم ، وعدم إنصافهم فى أجورهم وترقياتهم وأعمالهم ، كل ذلك قد جعلهم متذمرين من مهنتهم ، ناقمين على القدر الذى ابتلاهم بها ، مؤدين لها أداء ناقصاً مشوهاً لا يكاد يتفق فى الكثير من الأحيان مع تلك الأصول النظرية العامة التى درسوها فى مدارس المعلمين ومعاهد التربية ! لذلك يجب أن تعمل الدولة على مساواتهم بطوائف القضاة والأطباء والمهندسين ؛ ويجب أن تقلل جهد المستطاع من عملهم الشاق العسير ؛ ويجب أن تحذف من حياتهم تلك الأعمال الكتابية الآلية التى تطالعهم بها إدارة المدرسة مراراً أثناء العام الواحد ! ؛ ويجب أن تشركهم إشراكا فعلياً فى وضع المناهج واختيار الكتب ، ويجب أخيراً أن تعنى لاقتراحاتهم كما تعنى لرجال الطب أو القانون !

أما المعلمون فيجب أن يتحدوا وينظموا أنفسهم تنظيما يعلي من شأنهم الأدبي والمادى ويرفع من قدر مهنتهم فى عين الحكومة والشعب ، كما يجب أن يحرصوا دائماً على التحلى بتلك « الشخصية الفنية » التى تنشدها الحياة الحديثة منهم كمثقفين بوجه عام وكمربين على وجه الخصوص !

٣ — مكافحة الأمية وتعميم التعليم الالزامى

ويلى ذلك فى الخطورة أو يعادله مكافحة الأمية وتعميم التعليم الالزامى مادمنا ننشد نهضة حقيقية قوامها الحياة الديمقراطية الصحيحة . ذلك أنه لاسبيل مطلقاً إلى الرقى المنشود إلا إذا تبدد ظلام الجهل وغدا الشعب مستنير العقل قوى الخلق مفتحة أمام ذكائه أبواب النشاط دون ما فارق بين غنى وفقير ! ؛ وإذا كانت الحكومة قد بدأت تفكر جدياً فى مكافحة الأمية فإن التعليم الالزامى ما يزال فى حاجة قصوى إلى الدعاية والمرونة والتعديل والاصلاح على النحو الذى بسطناه من قبل عندما كنا نوجز آراء الدكتور جاكسون فى الموضوع

٤ — التعليم الحر

ولما كان التعليم الحر يقوم بنفس الوظيفة التى تقوم بها مدارس الحكومة فان العناية به ، والتدقيق فى الاشراف على رجاله ، والامساك عن صرف الاعانات للذين يستطيعون أن يستغنوا عنها تماماً بمصروفات التلاميذ ، أو للذين لا يستحقون منها شيئاً لأنهم محتالون أو شبه محتالين ! ثم الحرص على تسليحه بالمدرس الفنى الكفء عن طريق إعداد أكبر عدد من المدرسين فى معهد التربية بأقصى ما يمكن من السرعة ، كل ذلك يجب أن تحققه الحكومة فى القريب العاجل حتى لا يكون هناك وجود لمدارس تسيطر عليها الفوضى ويشيع فيها الحشو التافه والاعداد السقيم !

٥ — توحيد الثقافة :

ولما كان تباعد العقليات فى أبناء الأمة الواحدة يقسم الشعب إلى قسمين ويعرقل بذلك عملية الاصلاح والتجديد ، فالواجب هو المبادرة بتوحيد الثقافة على قدر المستطاع كيما يكون التفكير متحدا والقلب مشتركا والتقدم متجانسا لا تخلف فيه ! على أنه يجب أن نحرص فى ذلك التوحيد على طابعنا المصرى دون أن نتعسف فى الجرى وراء كل جديد أو فى التمسك بكل قديم !!

٦ — خطة الدراسة :

أما خطة الدراسة ذاتها فيجب أن تتغير وتتطور حسبما تتطلب النتائج الباهرة التى تمخضت عنها طرق التربية الحديثة كطريقة « المشروعات » أو طريقة « دالتن » ؛ وقوام الطريقة الأولى هو جعل الدراسة علمية تجريبية ترتبط فيها المواد ارتباطا معقولا ، ويقوم الطلبة بدراستها كما لو كانوا يتعاونون معا فى دراسة مشروع

ما تحت إرشاد مرب حكيم ؛ وقوام الطريقة الثانية هو الاعتراف « بفردية » الناشىء وتعويده على الدراسة الشخصية ، وفتح المجال أمام ملكاته وقواه كيما يسير فى طريقه الخاص مستنيرا بإرشاد صديق قد ير هو الأستاذ المربى !! هذا إلى أنه ينبغى كذلك أن نحرص على دراسة ميول الطلبة وعلى توجيههم توجيها سليما بفحص ذكائهم، وكشف استعداداتهم ، وإسداء مختلف النصح لهم ولذويهم كيما يدرسوا وينبغوا ويوفقوا فى حياتهم الخاصة والعامة توفيقا سعيدا ؛ أما حشد الطلبة فى الفصول دون التفريق بين ذكيهم وغبيهم ، وصبهم جميعا فى قالب واحد تنمحى فيه شخصياتهم ، وتيسير العلم لهم وحشوه فى أدمغتهم على نحو يشل فكرهم ويميت حماسهم وشعورهم، ثم جعل نظام المدرسة بعد هذا آليا لا وجود فيه للواجب والمسئولية والديمقراطية ، فذلك كما ترى أسوأ ما يمكن أن يتصور فى هذه الأيام التى تقدمت فيها بحوث التربية وعلم النفس تقدما عظيما ، والتى يدوى فيها صوت رجال التربية والاجتماع بضرورة جعل المدرسة صورة مصغرة للمجتمع البشرى فى تطوره وتجدده وعلاقات أفراده بعضهم ببعض وبالدولة !

٧ — مراعاة حاجات البلاد :

وينبغى بعد هذا أن نعمل على مراعاة حاجة البلاد من الخريجين فى مختلف نواحى النشاط المختلفة حتى لا نقع فيما نحن فيه الآن من أزمة المتعلمين العاطلين . وذلك بتحديد عدد المقبولين فى المدارس الفنية المختلفة حسبما تتطلب الحاجة المستنيرة بحقائق الإحصاء الماضى والحاضر ، وحسبما تدل دراسة ميول المتقدمين الحقيقية واستعداداتهم . أما ترك الأمر فوضى وقبول الطلبة فى كليات الطب والعلوم والزراعة والتجارة تبعا لارتفاع « مجموعهم » أو انخفاضه فذلك كما ترى السبب فى قلة التبريز عندنا وكثرة العاطلين .

٨ — الامتحانات

ويتبقى أيضاً أن نغير نظام الامتحان عندنا تغيراً شديداً لأنه بصورته الحالية لا يدل على كفاية الطالب العقلية فضلاً عن الخلقية والذوقية ، ولا يفعل أكثر من تحويل نظام الدراسة إلى عملية « حشو » هائلة لا نظام فيها ولا هضم ! وحسبك أن ترجع لأقوال العلماء الكثيرين فى ذلك الموضوع لترضى بما أقول ، وحسبك أن تقرأ اقتراحاتهم بشأن هذا التغيير لتعتقد أنه ينبغى لنا أن نهدمه هدماً !

٩ — تشجيع الخريجين

ثم لا نستطيع أن نختم القول دون الإشارة إلى وجوب تشجيع الخريجين على الحياة العلمية والعملية بتقديم الأعمال التى تساعدهم على تلك الحياة كما قد بسطت ذلك بإسهاب من قبل

١٠ — التربية الخلقية والدينية

كما لا نستطيع أن نختمه دون التنبيه على وجوب جعل التربية الخلقية والدينية أساسية ولا سيما فى مرحلتى التعليم الابتدائى والثانوى . وسبيل ذلك هو إدخال الدين فى الدراسة إلى جانب الأخلاق وجعل التقدير الخلقى جوهرياً فى النجاح أو الرسوب لا مجرد شكليات وقشور !

١١ — التاريخ والجغرافيا

وأخيراً ينبغى أن نعنى فى الثقافة العامة بجعل تاريخ مصر وجغرافيتها محوراً لتاريخ العالم وجغرافيته . كما ينبغى أن نعنى بإبراز أجمل عصورنا إبرازاً تاماً ، وبتكوين العاطفة الوطنية المتأججة فى قلوب النشء كيما نجد « رجالاً » يعيشون من أجل الوطن وفى سبيله يموتون ! ! (١)

* * *

وبعد فتلك نظرة عاجلة فى فلسفة التربية النظرية والعملية قد طبقتها على تربيتنا تطبيقاً سريعاً حال وقتى الضيق دون توفية حقه من البحث والتفصيل ، فلعلى قد وفقت ولو إلى حد التنبيه فحسب ! ولعلك قد استطعت أن تلحظ مجمل نزعتى العامة من هذا المقال ومن المقالات الكثيرة التى سبقته ، ثم لعلك قد سئمت هذه الدائرة وتريد منى دائرة أخرى ، فإلى اللقاء إذا حيث أحدثك عن شىء آخر ، ولك و « للرسالة الغراء » وافر الشكر وعاطر التحية

محمد حسنى ظاظا

(١) والحق أن طرق التربية الحديثة قد تناولت بالتعديل طريقة العرض والتدريس فى كل مادة مما لا يتسع الوقت لذكره

ولا يخفى بعد هذا وجوب عنايتنا بالتربية الرياضية السليمة ووجوب إعدادنا بالتعليم الحربى لنظام الجيش

بين الغرب والشرق

للدكتور اسماعيل أحمد أدهم

— ١ —

« إن العقلية الغربية هي العقلية التي تتسق وحاجات هذه الحياة الدنيا . ونحن نتبع وحي هذه العقلية بحكم أننا وجدنا في هذه الحياة الدنيا . أما العقلية الشرقية فتلائم الحياة الباقية ، فاذا انتقلنا إلى الاخرى فهنالك نتبع وحي هذه العقلية »

هابل آدم

قرأت ما كتبه صديقي الأديب النابغة فليكس فارس في عدد الرسالة السالف في موضوع الشرق والغرب ؛ وكان حريًّا بي ألا أرد على ما يكتبه صديقي ومناظري من ردّ لآرائي التي سبق أن أدليت بها في مناظرتي معه منذ عام أو أكثر من على منبر جمعية الشبان المسيحية بالأسكندرية والتي نشرتها في وقتها (المجلة الجديدة) ، لأني أعتقد أني في حينها أعقبت عليها بما رأيت فيه الكفاية لإثبات وجهة نظري في الموضوع[1] . ولكن مناظري وقد أخذ من ردّه عليَّ ما رآه اليوم ذا صلة وثيقة بذلك الحديث الذي أجراه الأستاذ الكبير توفيق الحكيم على لسان الروسي والمصري حول الشرق والغرب في روايته « عصفور من الشرق » التي صدرت خلال الشهر الماضي . ولقد أثار الأستاذ فليكس فارس في مقاله مسائل أعتقد أني بينت زعمها ومجانبتها لحقائق الأمور في تعقيبي عليه ، لهذا عمدت بدوري إلى تعقيبي على رد مناظري الأستاذ فارس لآخذ منه ما يدفع آراءه التي يؤيد بها اليوم إيمانه بتفوق ثقافة الشرق

* * *

لكل شعب في العالم تراثه التقليدي الذي خرج به من ماضيه، والذي يحف به في حاضره ، والذي يكمن فيه مقدمات مستقبله — تلك التي نطلق عليها اصطلاح « روح الأمة » — وهو الذي يربط ماضي جماعة من الجماعات بحاضرها ويمضي بها إلى مستقبلها . ومصر لم تخرج عن كونها مجتمعاً استوحى روح الشرق عصوراً متطاولة وخرج ككل أمة بثقافة تقليدية كونها على مدى تاريخه الطويل . وإن وقف مجتمع مصر اليوم من سير الزمن يطل على حاضر افتقدت فيه عناصر الحيوية في ثقافته التقليدية ، تلك الثقافة التي كوّنتها مصر بما ورثته عن أسلافها الفراعنة في أصول الفن الفرعوني القديم ومظاهر الحياة الماشية التي ترتكز عليها حياتها الاجتماعية . ويكفينا للتثبت من هذه الحقيقة أن نلقي نظرة على الملايين العديدة التي تنزل ريف مصر والتي تنتشر على ضفتي النيل من الشلال حتى البحر الأبيض المتوسط ، في حياتها الماشية التي يرتكز عليها المجتمع المصري ، وأن نرجع ببصرنا إلى الماضي بعدئذ مستمدين من النقوش التي قرئت على الآثار والهياكل والتي انبثت على جنبات الوادي في مصر ، ومن الكتابات التي خطت على أوراق البردي والتي صورت حياة المصريين في العهد الفرعوني ، لنخرج بصورة تمثل وحدة الحياة الماشية في مصر من عهد الفراعنة إلى يومنا هذا . وذلك راجع إلى أن الحياة الماشية صورة من احتياجات البيئة التي يعيش فيها الإنسان ؛ والبيئة واحتياجاتها لا تزال على وتيرتها الأولى في ريف مصر حيث ينزل معظم أبناء مصر . خذ إلى جانب ذلك منطق التفكير وأسلوب الصياغة ، وأعني بذلك اللغة من حيث هي صوغ المعاني ، والدين ، مما اكتسبته مصر من العرب فكان ركناً من أركان الثقافة التقليدية لمصر . ولقد اختلطت هاتان الثقافتان ، الفرعونية من جانب والعربية من جانب ، فكان من ذلك مزيج . ذلك ما نعبر عنه بالثقافة التقليدية لمصر منذ أيام الفتح العربي

أما ما أثاره مناظري الأديب فليكس فارس من اعتراض على قولي إن الحياة الماشية التي يحياها المصري الآن تجري على غرار ما كان يحياه أسلافه الفراعنة بقوله وأنا لا أرى في حياة المصريين اليوم أثراً من الحضارة الفرعونية لا في الحياة العملية ويعني بذلك الماشية ولا في الحياة الأدبية ، فإنني لا أجد صعوبة في دفع اعتراضه فأقول وأنا أرى في حياة المصريين اليوم أثراً

(١) كانت المناظرة مساء ٢٩ مارس سنة ٩٣٧ بدار جمعية الشبان المسيحية بالاسكندرية ، وكان موضوع المناظرة « من ال[illegible] لمصر أن تأخذ بالحضارة الغربية » وكان يؤيد الوجهة الايجابية الدكتور اسماعيل أحمد أدهم ويعارضه الاستاذ فليكس فارس ، وقد نشرت المجلة الجديدة بعددها الصادر في مايو سنة ١٩٣٧ كلمة الدكتور أدهم في الموضوع ، ومن المهم أن نقول أن الآراء توزعت بين الرأيين بالتساوي في المناظرة

من الحضارة الفرعونية فى حياة الشعب الماشية ! !

وأظن أن إثارة الاعتراضات ودفع الاعتراضات لا يقوم على مجرد القول بأنى أرى أو لا أرى ، إنمـا تقوم على البحث والتحليل والنقد المستقصى . فإذا قلت إنى لا أرى بى حاجة لدفع اعتراض مناظرى ، فذلك واضح لأنه لم يأت بأكثر من قوله إنى لا أرى !

ومع ذلك أحب أن ألفت نظر مناظرى إلى أصول الرى عند الفلاح المصرى ونظام معيشته ومسكنه الريفى وجلبابه الأزرق وعاداته وتواكله وانصرافه عن كل شىء لقطعة الأرض التى يزرعها ، الشيء الذى لم يتغير فى مصر منذ سبعة آلاف سنة مما يتضح للباحث من أبسط مقارنة بين فلاح اليوم فى مصر الحديثة وفلاح الأمس البعيد فى مصر الفرعونية ، الشيء الذى يثبت أن الثقافة التقليدية تقوم على أساس من الفرعونية من ناحيتها الماشية ؛ وإذا قلت الفرعونية فانما أعنى أن وحدة الحياة الماشية تتمشى فى ثقافة المصريين التقليدية حتى العهد الفرعونى .

إذا صحّ هـذا ، فكأن الثقافة التقليدية لمصر من ناحيتها الماشية فرعونية ، أما من ناحيتها العقلية فهى فرعونية تكيفت تبعاً لها الثقافة العربية تكيفاً يتلاءم وما تحتاج إليه الثقافة الفرعونية فى عهد الحكم الرومانى من ملابسات لتجارى فن الحياة فى ذلك العصر . ومن هنا قامت أو قل استمدت اللغة العربية فى مصر قدرتها على صوغ المانى بما يتكافأ ومحيط مصر ، فكانت اللغة العامية فى مصر ، وهى فى الحقيقة الفرعونية الآخـذة بأسباب التعرّب ، ثم كان الدين الاسلامى ومنطق التفـكير مما يكافىء الطبيعة المصرية الفرعونية ، وهـذا ما يثبته دخول الكثير من عادات وتقاليد المصريين فى تضاعيف العقيدة الدينية . يقول الدكتور سليم حسن بك عالم الآثار المعروف :

« إن كل ما كان يحرزه المصرى القديم من عادات وفنون ودين إلى عصر الفتح الاسلامى قد سلمه برمته إلى مصر الاسلامية ، اللهم الا اللغة والدين — على أن الأولى بقيت على قيد الحياة وأثرت فى اللغة العربية فى مصر إلى أن اندثرت فى القرن السابع عشر وأقصد بذلك اللغة القبطية . أما الدين المصرى القديم فقد ظهر عليه الدين المسيحي ثم الاسلامى لفظا وشكلا . والواقع أن معظم الطقوس الدينية فى مصر الحديثة ترجع فى أصلها إلى مصر القديمة وهى تعد فى الدين الاسلامي بدعاً » وأنت ترى أن الإخصائيين فى مصر الفرعونية يحكمون لنا فى قضيتنا أن ثقافة مصر العقلية التقليدية فرعونية الأصل تكيفت تبعاً للثقافة التقليدية العربية تكيفا يتلاءم وما تحتاج إليه الثقافة الفرعونية من ملابسات لتجارى فن الحياة فى عصر الفتح الاسلامى .

وهذه الثقافة التقليدية التى تتماثل صورها فى سريرة كل مصرى هى قرارة الذهنية المصرية . ولا يمكن أن تتقطع أوصال هذه العقلية من حيث هي تنزل عند حكم فطرة الشعب ما لم يهتز لذلك المجتمع المصري هزاً عنيفاً ويدلف إلى حياة جديدة تتقطع معها أحكام البيئة والمحيط التى احتضنت ثقافة مصر التقليدية نتيجة لتكافئها معها . وما دامت لم تفز مصر بثقافة جديدة تهز المجتمع المصرى فى صميمه ، فليس هنا لك سبيل لتقطع ثقافة مصر التقليدية .

إذن فلنصرف الـكلام عن ذلك ولنبحث فى هل هنالك من سبيل لتلقيح الثقافة التقليدية لمصر بعناصر أجنبية تبعث فيها النشاط وتدفعها لآفاق جديدة تتفق وحالات هذا العصر . وإذن يكون موضع الخلاف الأساسى بينى وبين مناظرى : هل من الخير لمصر أن تلقح ثقافتها التقليدية بعناصر من الثقافة الغربية لتساير مجرى الحياة ، أم تمضى في أخذها عن الثقافة الشرقية ؟

هذا هو موضوع الخلاف بين الشرق والغرب بالنسبة لمصر ، وإذا قلت مصر ، فانما أعنى مصر وحدها ، لأن لمصر ثقافتهـا التقليدية التى تباين ثقافة السوريين التقليدية أو ثقافة اللبنانيين التقليدية ، وما ينجح لمصر قد لا ينجح لغيرها

أما وقد وصلنا من البحث إلى هذا الحدّ ، فلننتظر قليلا فى بحث معنى الثقافة ، لأنى أتبين خلافاً خطيراً بينى وبين مناظرى فى مفهوم الثقافة والعلم

وإنى لأشعر قبـــل أن أدلف إلى أغوار البحث بخطورة ما سأدلى به ، ذلك لأنى أجد التفرقة بين العلم الوضعى والثقافة اعتبارياً . وإن كانت صيغة العلم موضوعية وصيغة الثقافة تتسم بطباع الذاتية . ذلك لأنه لا يمكن فى عالمنا الحاضر التفرقة بين الثقافة والعلم ، لأن الأولى نتيجة للثانى ، وليس ذلك نتيجة لاغترار ذهنى ، وإنما نتيجة للنظر فى مجتمعنا الراهن حيث يسُـود

العلم الوضعى كل شىء، ويتزل المنطق العلمى البحت أساساً لكل شىء . فان الحضارة الراهنة ... الآلية بصورها المادية نتيجة لاستخدام المنطق العلمى فى استغلال الطبيعة لصالح الانسان ، وكانت نتيجة استخدام المنطق العلمى أن نشأت حضارة تغلبها النزعة المادية تنزل منها ثقافتنا العصرية منزلة التاج ، ولا يمكن لمجتمع أن يأخذ من العلم الوضعى نتائجه فيستخدمها دون أن يأخذ منطقه الذى يؤدى إلى هذه النتائج إلا ويكون عالة على الانسانية. وأروع مثال ذلك اليابان التى ضربت بها مثلاً على أن أمة من الأمم لا تأخذ بالثقافة الغربية إلا وتنهض ، فان اليابان ما نهضت إلا بأخذ الآلة والآلة فقط ، ولذلك كان نهوضها آلياً لأنها لم تأخذ منطق التفكير الأوربى نتيجة لاحتفاظها بشرقيتها ومنطق تفكيرها التقليدى . وهذه حقيقة كبرى كما يقول مناظرى ، ولكن تقوم برهاناً على صحة كلامى ، فاليابان اليوم عائشة عالة على أوربا وعلم أوربا ، لأنها لم تأخذ علم أوربا ومنطق تفكير أوربا ، فكان نجاحها وقفاً على الآلة التى استعبدت أهلها فعاشوا ثمانين مليوناً من البشر فى مرتبة أحط من السوائم والحيوانات إذ لم يرتفعوا إلى مرتبة الشعور بالحياة الانسانية وكرامتها والنضال من أجلها كما هو الحال فى أوربا حيث يعمل العامل للتحرر من استعباد الآلة

أظن أنى خرجت عن الموضوع

إن ثقافة اليوم من حيث أنها تتبع العلم لا يمكن تخليصها من آثار العلم ، والثقافة الأدبية يغزوها اليوم العلم بمنهجه الصارم ومنطقه ، فمن الخطأ أن نفرق بين الثقافة من حيث أنها نتيجة معاشية وأسلوب فى الحياة وبين العلم ومنطقه وهى أداة اليوم للعيش والحياة

إن الفرق بين الشرق والغرب ينحصر فى هذا وحده : الغرب يقيم الحياة على أساس إنسانى ويترك للعلم أن ينظم الصلات الانسانية بين البشر ؛ والشرق يقيم الحياة على أساس غيبى ويترك للمغيبات تنظيم الصلات بين البشر . الغرب يقيم حياته على أساس من التفكير فى إيجاد التكافؤ بين حاجاته ومحيطه مستخدماً فى ذلك العلم ؛ والشرق يقيم حياته على أساس من التواكل . ولهذا لما أخذت اليابان الآلة لم تعمل على إيجاد التكافؤ بين الحياة الجديدة التى دلف إليها اليابانيون وبين حاجات هذه الحياة الجديدة ، لأن التواكل هنالك يقوم مقام العمل والتفكير، فكانت نتيجة ذلك أن استعبدت الآلة أهل اليابان

لا أرغب فى التوسع أكثر من هذا فى هذا الموضوع الآن

***

فى ضوء ما قدمت يفهم معنى عبارتى : « للشرق روحه الذى يستوحيه أبناؤه نزولاً على فطرتهم ، وللغرب منطقه الذى يستنير به أفراده نزولاً على وحى مشاعرهم » ، تلك العبارة التى جعلت مناظرى يستغرب مقالى لأن فيه حصراً للمنطق فى الغرب . وفى الواقع ما هو حصر للمنطق فيهم ، ولكن شاء الشرقيون أن يحصروه فيهم متابعة لدعوات خطيرة مثل التى يقوم بها اليوم الأستاذ فليكس فارس !

المنطق مشاع بين الأمم ، ولكن يجب أن تمرن الأمم عليه قبل أن تصبح متغلغلة فى تفكيرها ، إذ ليس المنطق أسلوباً فى التفكير يتبع وأقيسة يجرى عليها ، إنما هى قبل هذا كله ميل عقلى واتجاه ذهنى يمكن أن يكتسب

أما قول مناظرى « وما اخترع الغرب المنطق ولا هو أوجد التفكير العلمى » فذلك مجانب للحقائق المعروفة فى التاريخ من أن الاغريق هم أول من عرفوا المنطق وأوجدوا التفكير العلمى وعنهم أخذ العالم المنطق . ولا أظن أن هذا موضع نقاش ، وإنما يظهر أن الروح الشعرية تغلب مناظرى فتجعله يتناسى كل حقائق العالم !

أقف عند هذا الحد فى هذا المقال فى دفع اعتراضات مناظرى الأستاذ فليكس فارس ، ولنا فى المقال الثانى عودة لموضوع الثقافة والعلم وثقافة العرب وثقافة الغرب

وأنتهز هذه الفرصة لأدعو أنصار الثقافة الغربية للكتابة فى موضوع الأخذ بثقافة الغرب لهذا الشرق النائم ، وفى مقدمة هؤلاء أدعو صديقى الدكتور حسين فوزى صاحب « سندباد عصرى » أن يبدى آراءه بصراحة فى الموضوع ، ولعل فى هذا النقاش يكون الحد الفاصل بين القول بالشرق والغرب !

اسماعيل احمد أدهم

صحيفة أدب وأخلاق

عطفـــــة القاياتى

للأستاذ حسن القاياتى

بقية ما نشر في العدد الماضى

إنا ليملكنا الزهو باطلا بالكمالى البحث من ابتناء الضخم وإصلاح الطرقات ولا نعمل على الحاجى الحتم من ابتناء النشء وإصلاح العقول، ولولا النبل فى بناة الأهرام لما فخرنا بالأهرام

يبني الرجالَ وغيره يبني القرى شتان بين قرى وبين رجال

ما أبين الرياء الخلقى والاجتماعى فينا ! هذه حالنا من القذر الجسمانى والمنزلى والشعبي لا ما تسمع أيها القارئ، بل ما تشهد وما تلمس لا ما تحدث. وقد حدثنى ناظر أولى أن طبيب مدرسته رأى إحدى النافذات فى المدرسة بدون أسلاكها الدقيقة فغضب لصحة التلاميذ غضبة كادت تعطل الدراسة لولا توسل صاحب المدرسة إليه واستخذاؤه

إنا لأمة لا قوام لأمرنا ولا اعتدال ، فينا ينبت نَشؤُنا على المذابل وشواطئ المستنقعات، ولا يقنعنا الصلف أن يدرس هذا النشء إلا فى الروضات والجنات !

ونحن أناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر

أما وقد أجرت كلمتنا حديث الحمامات القديمة فطالما عرفتنا وعرفناها كما عرف المصريون حماماتهم وعرفتهم . دخلنا نحن حماماتنا قديماً وآنفاً ودخل المصريون حماماتهم ، وتجردنا لها داخلين وتجردوا داخلين إليها وخارجين ، ودخلناها جنساً واحداً ودخلوها ومعهم الجنس اللطيف ، فان تصعَّد فى حمامنا نَفَس أو ندِيَ جبين فانما يتصعد النفس أو يندي الجبين فى الحمامات المصرية من بعض ما يجد أصحابنا من حرقة على الحسن التجرد السليب أو غضاضة على الحسن

ما أفتن الحمامات فى مصر، أندية ترفيه، ومجالى نعمة وغضارة! بل مبتعث حكمة آونة وعظة، يقبل عليها شيع متباينة من الناس حتى إذا نكَّرهم فى سورهم التجرد من الثياب وهى مظهر الجلال الزائف ، نكرهم فى نفسياتهم وطبقاتهم فلا يستبين للناظر المتوسم فيهم أيهم السيد السرىّ ، وأيهم السوقي الزرى، ومن العالم الخطير والمائق القَدْم ؟ فربما شهد رجلا عليه مسحة من طراوة العيش وبضاضة التجرّد، وشهد آخر تعلوه طبقة من التقشف والشحوب وفقد الطرية والنضرة، فأقبل يحسب ذاك سيداً ضخما من رجالات الشعب ويعتبر هذا رجلا من عرض الجماهير أى رجل هذا، حتى إذا أفضت بهم خاتمة المطاف إلى ملابسهم ورجع كل مستحم إلى ثيابه وحليته فشد ما يهول هذا المتوسم بل يملأ فمه ابتسامة من أمر صاحبيه أن أمثلهما فى حكم نظره وتوسمه حوذى أو سائس بغل أو قرد ، وأن ثانيهما الزّرى عنده سيد نبيل من تقتدى بهم الأمم وتحاضر الملوك

ترى الرجل النحيف فتزدريه وفى أثوابه أســـد هصور
ويعجبك الطرير فتبتليه فيخلف ظنك الرجل الطرير

أكبر اليقين لا الظن أن الله ينظر إلى خلقه كنظرتك إليهم فى حمامهم مجردين من كل عظمتهم المصنوعة الساحرة ، أنبلهم عنده أنبلهم نفساً لا ثوباً

أجل . إن الحمامات هذه خليقة بأن تُجِدّ لنا هذه الحكمة والعظة :

إذا أنت وزنت الرجال وقدرتهم فانظر إليهم مجردين من كل مظاهرهم الخداعة كما تنظرهم فى حمامهم ، ثم ليكن قضاؤك على الألباب لا الثياب

ناهيك من الحمام بيت فخم أنيق يقطر بنضرة ورفاهية كما يقطر بماء وحرارة ، ويتنفس بدفء وفتور ساحر معجب كأنه فتور الجفون كله حسن وطلاوة وتنهدات كتنهدات الصبابة بيد أنها برد وغبطة ، ذلك إلى ما في سجيته من إرسال النفوس على السجية والتحلل ساعة من قيود الكلفة والتمل الاجتماعى وخلع شيء من التوقر القائل فى خلع الأثواب إلى ما فيه من سويّة فى المكانة وأسوة بين الطبقات

بيد أن حمامنا القديم ربما تكشف عن هنات شائنة لو تجرد منها لكان نعيماً دنيوياً . أناشدك الله أيها القارئ ماذا أنت قائل إلاّ الشر فى ذلك البخور الكريه البغيض الذى يحرقونه أو يطلقونه كما يقولون ليطير الأرواح الخبيثة وقد شهد الله أنه من بغضه وكراهيته خليق بأن يطير الأرواح الطيبة قبل الخبيثة

ليس يَقَرُّ بعيني عصرى متأنق صقلته الحاضرة أن يشهد فى جنبات الحمام هذه الصراصر والحشرات سباحة حواليه تقذى

بها عينه ، ولا يطيب قلب هذا المتحضر أن يتولى نظافته وصقله شيخ متوقر أشمط اللحية فيمتهن جلال هذه السن أو يذكر به جده الأعلى فيغضي على استحياء

ضحوا بأشمط عنوان السجود به   يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا

حدثني أزهري عصري النزعة حلو الفكاهة حار النادرة قال : دخلت الحمام فاستدعيت الخادم « صاحب الكيس » فأقبل عليّ شيخ أشيب دالف يحبو إلى التسعين ذكرت به جدي الأعلى ، فلما دنا مني ليأخذ في مهنته جعلت أقطع النظر بينه وبين صورة في نفسي لأستاذي العالم في الأزهر أستاذ البلاغة، فإن عليه مسحة منه أبيَنُها هذه اللحية المسترخية ؛ ثم تقبلت خدمته على تكرُّه ومضض ، وقد رمت رأسي بالإطراق وكسر الجفون ذكرى جدي الأعلى وتشابه شيخي الأكبر . قال محدثي الرقيق : لم أكد أتعرف حاجة للحامات بخدمة هؤلاء الشيوخ الفانين خاصة وهذه اللحي المسترسلة حتى ابتدرت نظرة إلى ساحة الحمام فإذا الصراصر تمرح فيها فقلت : لقد علمت الآن: هذه المكانس لهذه الحشرات

ولحية يحملها مائق   مثل الشراعين إذا أشرعا
لو غاص في البحر بها غوصة   صاد بها حيتانه أجمعا

حُبِّبَ إلى راقصة فنانة بعيدة مسرى الصيت من معبودات الجماهير كما يقولون أن تزور حمامنا هذا فكان لها ما تشهّت من تلك الزورة، فلما قضت منه كل حاجة خرجت إلى الطريق ، وكان قد تسمع إلى خبر زورتها هذه فصائل من ولدان الحارة ونشئها الصغار يحبو أكبرهم إلى العاشرة ، فلم تكد الفنانة تبدو خارجة من الحمام حتى تلقوها بالتحية فاصطفوا فريقين ، قطعة هنا وقطعة هناك ، وقد احتملوا بأيديهم الشموع موقدة تزهر نهاراً يحتفلون للزائرة المفداة ، وأقبلت هي بسامة الثغر مزهوة تخطر تخطرتها على المسرح بين صفي نور وإجلال

لقد تقضى زمن بعيد من لدن هذه الذكرى وما يتقضى العجب منها ، أتساءل : هل استخف الصبية لتحية هذه الفنانة نباهتها ، إذن فليس العجب أن تسحرهم النباهة وقد سحرت آباءهم من قبل ، إن النباهة لسحّارة ، وإن كانوا إنما احتفلوا لحسن في الراقصة وفن ، فما أبدع أن ترف حتى القلوب الطفلة على الحسن والفن

ومشبه بالغصن قلبي   لا يزال عليه طائر

إن الحامات قطعة من التاريخ القديم ، إن تمهدها العصر بالتطرية والصقل كانت قطعة من النعيم :

وحمام دخلناه لأمر   حكى سقراً وفيه المجرمونا
فيصطرخون فيه اخرجونا   فإن عدنا فإنا ظالمونا

هذا عهد للمطفة ، ولقد تصرّم قبله عهد كانت تشهد فيه حياة شيخ معمم من كُشّاف الغيب طلائع المستقبل ، شرّق اسمه وغرّب ؛ وجاء الثناء على حذقه بالغيب من كل لغة ومنطق، يفضي إليه الناس كافة من شرق وغربي ، سيان في قصده حملة العمائم وحملة القبعات ، أهل ڤينا عنده وباريس ، كأهل أدفينا وسنتريس .

كنا نشهد الباريسية المتحضرة الجامعية إلى جانب القروية المصرية داخلتين إلى الشيخ تستقرئانه رسالة المغيّب فتقول : آمنّا بالله ! ما أشبه الناس بالناس! وما أقرب العلم من الجهل إذا تبرأ من العقل !

كان « السيد رمضان » صاحب ذلك البيت المتصدر نضر الله مثواه طليعة وعيناً على الغيوب والخفيات قلما تشهد في فصيلة الشيوخ والمعممين شيخاً مثله حلاوة شمائل ورقة هندام ، ذلك إلى أنه كان قرارة مزايا وملتقى خلال حسنة قلما تتهيأ لسيد غيره إلا بتوفيق من الله

كان السيد رمضان يحمل نفسا طروبا مرحة وأذناموسيقية، صنّاع اللسان صنّاع اليد بالبيان العربي الساحر والتغني ونقر الأعواد والموسيقيات ، كما هو صناع اللب بتكشيف المحجبات والخفايا، إذا جسّ أوتاره لمس بها القلوب، كما يلمس بأسراره الغيوب

فلما عبثن بأوتارهن   قبيل التبلج أيقظنني
دعون هناك بأعوادهن   فأصلحنهن وأفسدنني

شدّ ما حفلت داره هذا المتجسس على الغيب في « ليالي حضراته » حتى فاضت بجمهرة ضخمة من العلية والسوقيين معا، وأمّها لأجلهم صفوة شائقة من نابغة المطربين في الشرق كله . ناهيك منها « يوسف » و « عبده » و « عثمان » و « صالح العربي » وأين عهد صالح ؟؟؟ فمن دون هؤلاء من المطربين إذ ليس فوقهم أحد، ثم اختلف إليها معهم أسراب فاتنة من بنات الكناس وأسرى الحجال من كل مخبأة لعوب ميالة القد سحارة الطرف

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغو   ص ميزت من لؤلؤ مكنون

حشدت هذه الغانيات هناك حتى غصت بها نوافذ بيت الشيخ

وشرفاته ، وأقبل الذاكرون ومعهم المنشدون فذكروا كل شيء إلا الله ولم ينسوا النوافذ والشرفات

وكن متى أبصرتني أو سمعتني سعين فرقعن الكوى بالمحاجر

هنا لك كل ما خيل إليك من غمزات الجفون وعمل الفتون.

بينا القوم على ذلك تكلمت الأوتار وتصعدت آهات المطربين الفتانة وتصعدت معها « أنفاس محترقة » من الحشيشة المباحة لتلك المهد فلم ينصرف القوم إلا بقلوب محترقة :

قالت حكمة عتيدة :

« لو أمكن النيب من نفسه لاستبدل باسمه » أجل : لو أن النيوب مما يستشف أو يقرأ لما استحقت أن تسمي غيوبا وإنما هي إذن شهود

لقد صبّ الله على هـذا الشيخ التأنق في مشافهة المنيّب قرويا حقيرا من صفوف النعال فطريّ الطابع فطريّ الروح واللّب، فأخذ يقبل به في الخدعة ويدبر، فلم يعتصم ولا شافهه غيبه بدخيلة أمره مع هذا التحيّل عليه حتى استنزله هاتنا قرير العين عن ثلثمائة دينار مصرى كاملة زعم أنه مشترٍ له بها عقارا في الريف إذا هو رجع إلى أهله ، فذهب بها طليقا مُرَفَّهاً إلى اليوم ولم يشتر لملاءمة النيب إلا العار والسوءة : فهل ترشد الأمة المخدوعة ؟

إن العلم والعقل ينصرهما الدين لم ينيرا سبيلاً إلى النيب فما أجدر الحاكمين بأن ينزلوا بالشعوذة فتكة صارعة تغسل معرة الاجتماع وتثلج صدر العلم والعقل

هذه التي نصف ، عطفتنا « عطفة الألايلي » فيما تُسمى و « عطفة القاياتى » فيما نريد ، ضنكة مظلمة نأوى إليها مشتهاة فاتنة للألف كما يأوى النحل إلى بيته وخلاياه ، ورُبّ مملول لا يستطاع فراقه

ولى وطن آليت ألا أبيعه وألا أرى غيرى له الدهر مالكا
وحبب أوطان الرجال إليهم مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهمو عهود الهوى فيها فحنوا لذلكا

شيئان من هـذه الحارة مكروهان عندنا جدّ بغيضين ، ولا كتمان للحق ، أول الشيئين الحارة نفسها ، والثانى اسمها . أما الحارة فلسنا نملك تبديلاً لخلق الله فيها ، وأما الاسم فهو لأسرة تركية عريقة كانت تقطن فيها وقد ترحلت عنها قديماً فما يتضخ اسمها أحد اليوم ولا يختلج به صدرٌ ولا فمٌ حتى لتحسب

كلمة « الألايلي » هذه اللغز الذى لا يحل

من أجل ذلك مشى الحي إلى ولاة الأمر بمقترح شهى لديهم أن يأذنوا فى تسمية « عطفة الألايلي » ، « عطفة القاياتى » أنساً بجيرانهم المعاصرين لهم واستئناساً بأن ذكر بيت القاياتى قد صاحب التاريخ فى مصر فترة وامتضخ اسمه من قبل أيام كان جدهم الأعلى « شمس الدين القاياتى » قاضى القضاة بمصر ينزل فى هذه الأحياء فى سنة خمسة وثمانين وسبعمائة هجرية

مشى الحى بهـذا المقترح المرجوّ إلى من يملك الأمر فلم يؤذن له أن يسمع ولا حظى عنده ، والحاكم الله

إن كان ولاة الأمر قد اصطفوا « عطفة الألايلى » لأنهم يُغْلون بقدرها ويحتجزونها لتوسم « بعطفة الحرّية » أو « عطفة الاستقلال » ليوسم بها عهد الاستقلال والحرية فهنيئا لنا بالحرية والاستقلال ويابرد هذا على الكبد ، وإن لم يكن بهم إلا الضن علينا وحده فليعلموا أن سنة من يكتبون إلينا ويتحدثون عنا قد مضت بأن يكتبوا إلينا « عطفة القاياتى » ويقولوها ، وألسنة الخلق أقلام الحق ، فلن يكون إلا ما نريد ، ولن يكون الاسم الذى يحمله صدر العطفة وهو « عطفة الألايلى » إلا كذبا وسما كالدم على قميص يوسف ، ولن تكون عطفتنا إلا « عطفة القاياتى »

حسن القاياتى

بين الرافعي والعقاد

العقـــاد

للأستاذ سيد قطب

— ٨ —

لم يعجب الأستاذ « اسماعيل مظهر » ما نكتبه تحت هـذا العنوان . ونحن نأسف أن لم ننل إعجابه أو رضاءه ؛ ولـكن يعزينا عن هـذا الفقدان أنه يعجبنا نحن ويرضينا — مع الأسف كذلك !

يقول الأستاذ :

« أما الذى لا أفهمه ولا أستطيع أن أفهمه يوماً من الأيام ، فأن يتطوع ناقد لنصرة كاتب على آخر ، أو شاعر على شاعر غيره ، احتساباً لوجه الله الـكريم ، من غير أن يكون الناقد فى نقده مخلصاً أول الشيء لمذهب بيّن فى الأدب ، يعتنقه الـكاتب المنتصر له »

هكذا يقول الأستاذ ، أما نحن فنقول :

« إن الذى لا نفهمه ، ولا نستطيع أن نفهمه يوماً من الأيام فأن يكون رجل كالأستاذ اسماعيل مظهر ، أو أقل منه درجات ، يقرأ ما كتبناه ، ثم لا يتبين منه أننا ننقد مذهباً معيناً فى الأدب ونعتنق مذهباً بيّناً منه كذلك، وأن الـكاتب الذى ننتصر له ، يمثل مذهباً بيّناً يدعو إليه منذ خمس وعشرين سنة ، وما يزال يشرحه ويقرره ، ويعود إليه فى نثره وشعره كله ، وأننا من أخلص تلاميذ مدرسة هذا الـكاتب لطريقته ، وأشد الناس فهماً لها ، واقتناعاً بها ، ونسجاً على منوالها »

ويتحدث الأستاذ عن الشذوذ فى نصرة كاتب على كاتب ، فإن شاء أن يعرف الشذوذ حقاً ، فنحن محدثوه عنه :

إنه ياسيدي فى تقديم هذه السوأة الأدبية الخلقية الانسانية المسماة « على السفود » ، فى تقديمها ذاته ، وفى طريقة تقديمها ، وفى نشرها ، دون تأذ ولا تأثم ، ولا خشية على آداب الحديث فى الأمة ، ولا آداب الطريق (ودعك من آداب النقد) ودون رحمة بأسماع الناس وأبصارهم وآنافهم !

وإذا شاء الأستاذ أن يعرف نوع هذا الشذوذ ، فليعلم أن هذه السوأة التى كشف عنها من قدّمها للناس ، لم يستطع أشد تلاميذ الرافعى إخلاصاً له أن يلمها ، ولقـد حاول أن ينحيها — فى خفة — عن أعين النظارة ، وهو يزن حسنات الرافعى ، ويزعم وزن سيئاته ، حتى لا تهبط هـذه السوأة بالـكفة إلى الحضيض لو هى لامست الميزان . وكان هذا عدالة منه من هذه « العدالات » الفريدة التى يتشح بعض الناس بوشاحها

فالأستاذ سعيد العريان يقول : « من قرأ « على السفود » فعابه على الرافعى وأنزله غير ما كان ينزله من نفسه ... الخ »

وإذا قال الأستاذ سعيد مثل هذا ، وهو يدغم الكلام، ويدحرجه ليبعد بهذه السوأة عن الأنظار ، فالذين لم يصابوا بعد بداء العدالة التاريخية يستطيعون أن يعرفوا مقدار شنعتها

ولولا أننى أكرم أسماع القراء وآدابهم وإنسانيتهم من التدهور أو التأذي والتأفف ، لنقلت لهم شيئاً من « على السفود » الذى لا يعتبر تقديمه ونشره وترويجه شذوذا ، ولا مناصرة لأديب على أديب ، ولا تدخلاً فى الشخصيات ، وإنما يعتبر نصرة لمذهب بيّن على مذهب بيّن فى الآداب والآراء !

أما قصة الموت والموتى ، فقد أسلفت الحديث عنها فى الكلمة الفائتة ، وبهذه المناسبة أقول للزميل الودود الأستاذ سعيد : إن زميله سيد قطب ليس هو الذى يعزق الأكفان بالأظفار ، والذى يعزق بظفره ، مخلوق آخر ، أكرم آدابى وآداب الناس أن أقول: إن الأستاذ أو أحد زملائه من فصيلته ! خشية أن تتدهور خطوة أو خطوتين بعدها فيصبح من النقاش « الأدبى » المعترف به ، أن يقول الواحد للآخر : « يا ابن ال... » ويكون هذا من أساليب النقاد !

بقى الرجل « الذى له عمل يملأ يومه ونهج يدير حياته » . وقد أكرمته وأكرمت « دمشق عن مناقشة قوله فأبى ، وما زلت على رأيى الأول .

ولـكنى أرى من حق سوريا الشقيقة علىّ ، وأنا ممن يحفلون بالدعوة إلى الرابطة الشرقية ، أن أنفى عن « دمشق » وأهلها ، ما قد يتبادر إلى نفوس المصريين من تقدير لها ولأهلها على أساس كلمات الأستاذ .

فليس كل من فى « دمشق » يجهل الأدب والأدباء فى مصر ، ولا يطلع على كل الصحف الراقية هنا ، حتى يكون ممن لم يروا « سيد قطب » إلا للوهلة الأولى . ولعل للأستاذ عذراً من « عمله الذى يملأ يومه ونهجه الذى يدبر حياته »

وليس كل من فى « دمشق » يقرأ لكاتب معين « فيقبل كل ما جاد به » هكذا بدون ترو ولا تفكير ولا رأى خاص . ولا يقرأ لكاتب معين ، فاذا ما قرأه « لم يعلم لآرائه من القيمة والخطر ما يدفعه إلى مناقشتها » مع أنها بين يديه ، وتحت سمعه وبصره

وأنا أعرف من معارفى وأصدقائى السوريين ، من لهم فكر ورأى ومن لهم شخصية مستقلة ، فليطمئن المصريون على عقيدتهم فى جيرتهم !

وليس أدل من صواب رأيى باديء ذى بدء فى ترك مناقشة هذا الأستاذ من ظنه أنه متى جاء لى ببيت لشوقى على مثال تشبيه الرافعى الذى انتقدته ، فقد انتهى القول ، وبطل الجدال !

لا . ياأخانا . يقول ألف رافعى ، وألف شوقى ، وبقى بعد ذلك مجال للنقد والتعليق والكلام ... !

وقد فهمت من كلامه أن « عمله » الذى يملأ يومه ، ونهجه الذى يدبر حياته ، والذى يمنعه — وهو معذور — من متابعة خطوات الأدب والأدباء فى مصر ، وربما فى دمشق ، هو التدريس بالمدارس

فأنا — فى إخلاص — أقول لحضرته إنه يؤدى مهمة جليلة يجدر به الاقتصار عليها ، فليس من الضرورى أن يكون كل إنسان أديباً وناقداً ، والمدرس ليس عاطلاً ولا فارغاً ولا صاحب مهمة نافلة يتركها لسواها

فأما إذا لم يسمع هذه النصيحة ، وأصر على الاشتغال بالأدب فله ذلك ما دام القانون لا ينص على شروط معينة فيمن يشتغلون بالآداب ... !

***

وبعد فقد هممت أن أعاهد القراء على ألا أشغلهم بالالتفات إلى هذا الناس ، بعد ما أصبحت يائساً أشد اليأس من فهمهم لما أقول ، أو استعدادهم لمتابعة المدرسة العقادية فى خطواتها . لو لا أننى أعتقد أن للرسالة قراء آخرين غير الرافعيين ، فلهؤلاء القراء أكتب ؛ ولولا أننى أضطر تأدباً أن أرد على من يوجه إلى الخطاب مهما كان شأن ما يقول

ولكن هذه فى الحق خطة متعبة ، وتأدب يكلف جهداً ومشقة ؛ وأغلب الظن أنى سأعدل عنه ، وسأسرع فى استعراض البرنامج الذى وضعته للبحث منذ المقال الأول ، وقصدى منه إبراز صورتين متقابلتين للمدرسة العقادية والمدرسة الرافعية ، فى فهم الأدب وفهم الحياة

ولو لا أننى اعتدت أن أضع الخطة وأنفذها ، دون اعتداد بما يجد فى الطريق ، لآثرت الوقوف عند هذا الحد ، فقد فهم من لديه استعداد للفهم ، وبقى ناس لا حيلة فى تبديل طبائعهم وخلق نفوسهم وأذواقهم من جديد

والآن إلى تتمة الحديث :

***

يعنى العقاد — إمام المدرسة الحديثة — بالحياة النابضة فى ضمائر الأشياء قبل الحياة الظاهرة على سطوحها ، ويعنى بالحياتين معاً قبل العناية بأشكالها وصورها ، ويلتفت للخوالج النفسية قبل أن يلتفت إلى الصور الذهنية ، ويعنى بهاتين قبل العناية ببهارج الأسلوب وزخارف الطلاوة

ولا يعنى هذا أن الأسلوب الفخم والتعبير الجيد بعيدان عن شعر العقاد . ولهذا مبحث خاص ، سأفرد له كلمة ، ربما كانت الأخيرة

يؤم المسجد يوم الجمعة للصلاة حشد حاشد ، كلهم مصل ، وكلهم خارج من المسجد بعد الصلاة ، ويمر هذا المنظر على الشعراء والأدباء فى مصر وغير مصر ، ويتكرر الأسبوع تلو الأسبوع . ولكن العقاد وحده هو الذى يلتفت التفات الفنان المثقف ثقافة نفسية واجتماعية ، إلى ما يجول فى خواطر هؤلاء المصلين ، وما تهتف به نوازعهم فتكتمه عقولهم الواعية ، وما يسرب فى ضمائرهم أو يغشاها . ذلك أنه يروى فيتخيل ، ويلاحظ فينفذ ، ويحس فيحلل ؛ ثم هو بعد هذا وذاك يمثل ويجسم خفايا النفوس الإنسانية ، ويعرض نماذجها المختلفة فى معرضه الفنى الحافل بصور النفوس :

بعد صلاة الجمعة

على الوجوه سيمة القلوب فانظر إلى المسجد من قريب
وقف لديه وقفة اللبيب في ظهر يوم الجمعة المحبوب
إنك في حشد هنا عجيب

* * *

هذا الذى يمشى . ألا تراه كأنما قد حملت يداه
سفتجة (١) صاحبها الاله ؟ ذاك هو الدين . وقد وفاه
فليس للدائن بالمطلوب !

* * *

وذلك المبتسم الرصين كأنه بسره ضنين
أصغى إليه سامع أمين فهو إذا صلى كمن يكون
فى خلوة النجوى مع الحبيب !

* * *

وانظر إلى صاحبنا المختال فى حلة ضافية الأذيال
أكان فى حضرة ذى الجلال أم كان فى عرض أو احتفال
يزهى على المحروم والسليب !

* * *

وكم مصل خافت الدعاء كأنما نص إلى السماء
رسالة فى عالم الخفاء فلا يني يبدو لعين الرائى
كالمترجى أوبة المكتوب !

* * *

ورب شيخ من ذوى الخلاق (٢) فرحان بالجمع وبالتلاقى
كأنه التلميذ فى انطلاق بين تلاميذ له رفاق
عادوا إليه عودة الغريب

* * *

هذه هى الصور الباطنة لتلك السحن الظاهرة ، وليس فيها ما لا نعرفه الآن ، فى مشاهد الصلاة ، بعد أن أشار إليها العقاد. وهذه ميزة الشاعر ذى « النفس » الذى يلمح ما فى النفوس ، فيطلعنا على ما كان بين أيدينا غائباً عنا من صور الحياة وأنماطها ، لأنه يجلوه فى مرآة نفسه الخاصة

ثم يمضى بعد هذا الاستعراض ، يطرق الفلسفة العامة ، فى دعابة وفسحة فى النفس ، تتلقى هؤلاء الأحياء المختلفى المطامع والأهواء تلقى الوالد العطوف لأبنائه ، وهم يختلفون منازع واتجاهات ، وهو يبسم ابتسامة التهكم الرفيق

تجمعوا فى بيته تعالى وافترقوا فى جمعهم أحوالا
وهل نسوا فى أرضه النزالا فيحتويهم بيته أمثالا
على اختلاف السمت والنصيب !

* * *

لعلهم صلوا له ارتجالا فاختلفوا ما بينهم سؤالا
فلو أجاب السائلين حالا صب على رءوسهم وبالا
وألحق المخطئ بالمصيب

هذه قطعة واحدة من « عابر سبيل » يمسها مشهد مألوف للجميع . وهو « على قارعة الطريق » ولكن المارة لابد لهم من عين وذهن ونفس لتراه ثم تدركه ، ثم تتغلغل فيه . وأنت خليق أن تجد عند العقاد كثيراً من هذا النوع ولاسيما فى « عابر سبيل »

* * *

وللعقاد عناية بتصحيح مقاييس الأحكام على الطبائع والنفوس منشؤه أنه صاحب « نفس » خاصة ، و « طبع » أصيل ، فهو لا يتلقى المبادئ والأحكام من الخارج ، ولكن يفيض بها من الداخل ، ويسمع فيها منطق الحياة الخالدة ، ووحى الانسانية الدائمة ، لا منطق الفرد العابر ، ولا الجيل القاصر . ومن هذا النحو قوله عن « عدل الموازين » و « جلال الموت » وقد استعرضتهما آنفاً ومنه :

من ساء بالناس ظناً دون ما ألم أحق عندى بسوء الظن والتهم
أمي ظنونك لكن مكرها أبدا كمن يظن بيمض الآل والحرم

هذه قولة رجل « إنسانى » تزخر نفسه بالعطف وتفيض بالثقة ، فينكر فلسفة سوء الظن ارتجالاً وتطوعاً ، فسوء الظن عنده بالانسانية أمر مكروه لا يقدم عليه الانسان وله منفذ إلى رجاء فيها ، كمن يظن بيمض الآل والحرم ، بعد ألا يجد بداً من الظنون ، وبعد أن ينفد معين الثقة والتعاطف والتنزيه الفطرى للآل والحرم ... ويقول :

إذا ما تبينت العبوسة فى امرئ فلا تلحه واسأل سؤال حكيم
أجل سله قبل اللوم فيم انقباضه وفيم رمى الدنيا بطرف كظيم
لعل طلاب الخير سر انقباضه وعلة حزن فى الفؤاد مقيم

(١) ورقة التحويل المالى
(٢) الخير الوافر

فما تحمد الميثان كل بشاشة   ولا كل وجه عابس بذميم
قطوب كريم خاب فى الناس سعيه   أحب من البشرى بفوز لئيم

وهذه قولة رجل ، معنىٌ بالغايات النفسية ، لا بالمظاهر البادية على الوجوه ورجل يعدل « عدل الأناسى لا عدل الموازين » فى الحكم على قيمة العبوسة والبشاشة فى الجبين . ورجل عطوف يتقصى أسرار النفوس ويقدر أحوالها ، ويوسع صدره لبدواتها ولا يتسرع فى سوء الظن بها ، وبذلك ينفذ وصيته السالفة .

ويقول :

لا تقل : فاجر وبرٌ . ولكن   قل : هو الصدق والمراء صنوف
رُبَّ حق فيه نفيس ومرذو   ل ، ومَيْن يرجى ومَيْن يخيف
إنما الفاضل الذى فضله فى الخير   ر والشر فاضل وشريف

وهذه أبيات لا تكتفى بتصحيح مبدأ فى الأخلاق ، بل هى تخلق مبدأ . ويطول بنا الحديث لو ذهبنا نشرح هذا المذهب ونناقشه ، ونوازنه بمذاهب الأخلاق ، وتعريف الحسن والقبيح ، وبيان أسباب هذا الحكم ، الخ . فنكتفى بشرحها فى اختصار :

ليست عناوين الأخلاق المتواضع عليها هى الحكم الفصل فى تقدير قيمة هذه الأخلاق ، فالصدق مثلا لا يعنى أن كل ما ينطوى تحته ، فاضل وشريف ، والكذب لا يعنى أن كل ما ينطوى تحته مرذول وخسيس ، ومثلهما بقية عناوين الفضائل المتعارفة . إنما مناط الحكم على الصدق وعلى الكذب ، أمر آخر غير عنوانهما . ففى الصدق ما هو شريف ومرذول ، وفى الكذب كذلك ما يكون هذا أو ذاك ؛ وفى سواهما مثلهما

وكم من كذبة عظيمة ألقاها مصلح ، أوفاه بها بطل ، أو زخرفها فنان ، هى أشرف وأعظم ، من « صدقة » حقيرة ، ألقاها جاسوس ، أوفاه بها مجرم ، أو طرحها مطموس لا يعنى بها قصداً

وكم من « بوهيمية » عاش فى ظلها فنان تمده بالخصوبة والإلهام ، هى أشرف من استقامة عاش فى ظلها جلف يقنع بها عن ضعف ، أو انطماس بصيرة ، أو فتور حيوية

وعلى أية حال فتلك نظرية تمر هكذا فى ثلاثة أبيات ، بين الركود العقلى والنفسى فى مصر ، ولو وجدت حياة زاخرة لكانت موضع جدل ومناقشة ، ومثار انقلاب فى مبادئ الأخلاق . ولكننا فى مصر حيث الركود والاستهتار

والذى يهمنا منها الآن ، هو دلالتها على طبيعة العقاد ، التى لا تحفل الظواهر والأشكال ، إنما يهمها تقدير العامل النفسى الباطن فى الأعمال والأقوال

* * *

ومثل هذه الخطرات هى التى يسميها بعض ذوى النفوس الضيقة ، والأحاسيس الضامرة ، فلسفة لا شعراً . ويعنون أنها صور عقلية عمل فيها الفكر وحده . وقد اتضح من شرحنا لها ، أنها تقوم على العامل « النفسى » أول ما تقوم ، وأن الطبع الحى البصير هو الذى يوحى بها

وكل ما ينقص هذه الخطرات لتكون من العاطفة فى الصميم ، أن صاحبها لا يضع لها لافتة (يافطة) مكتوب عليها : « هنا شعر عاطفى » !

أما أصحاب النفوس ، فيحسون ويقدرون : أى نفس تلك التى تلتفت مثل هذه اللفتات ، وأى عاطفة عميقة فى ثنايا هذه الأبيات

« حلوان »   سيد قطب

بين الرافعي والعقاد

في منطق التحليل

للأستاذ عبد الجليل محمد المحجوب

يريد الأستاذ « سيد قطب » أن يثير معركة تكون فاتحة لإظهار أدبه « النفسي » ، وترويجاً له بين الشباب الحديثين . ولا يمنعه الحذر أن يعلن هاته الظاهرة خشية الاستخفاف وضياع الأمل . وهو — كما يبدو من تحليل مقاله[1] — رجل خضوع لنفسه ، سهل الانقياد لعصبيته القديمة ؛ تؤثر فيه العلاقات الشخصية أكثر من علاقات الحقيقة بالعقل ، والايمان بالقلب ؛ وبشريته المظامية تقوده للتقرب مما يدفعه إليه شعوره ، وعاطفته المتمردة . ويقول إن له أدباً وشعراً ، وملكة نقد وقادة تجعله يثور على كل من يتطاول إليه ، أو يحاول أن يمس عبقريته بخطأ شائن ، كما ثار العقاد على الرافعي ومخلوف إجابة لعلوّ النفس ، وحفظاً لها من النزول إلى عقلية السوقة . ويعيب على الناقدين — دون نفسه — جهلهم بطبيعة الكاتب ، وقساوتهم في الحكم قبل اتصالهم به واكتناه بواعثه !

ثم يذكر أنه كان « يكره نفسه على مطالعة الرافعي » لأنه عندما قرأ «حديث القمر» أحس بالبغضاء له ! ويكذّب الأستاذ سعيداً في تسميته ما كتبه العقاد في رده شتماً وسباً للرافعي . وفي تسمية ما كتبه عن «مخلوف» سباباً وشتائم » ويقول بعدئذ — في غير تحفظ — « إنما كتب (يعني العقاد) عن « مخلوف » يتهكم به ، ويشنع بسوء فهمه للأدب ، فبعث ذلك عظم الفرق بين طاقة العقاد وطاقة مخلوف ، والحق على أن يكون مثل هذا ناقداً لمثل ذاك ...

« والحق أن هذا مما تضيق به الصدور الخ ... »

وحديث مثل هذا يفسر ، بكل صدق ، بأن حضرة الأستاذ سيد ليس له مبدأ في الجدال وأنه يتلاعب بالحقيقة ، فطوراً ينفيها ويكفر بها ، وطوراً يتوب ويعتذر !

وفي فقرة أخرى يأخذ على الأستاذ سعيد « تمرضه » بلقب « أمير الشعراء » الذي ينحله الدكتور طه حسين للعقاد « تملقاً » للشعب ونزولاً على هواه ، ويرى أن هـذا « اللقب » دون منزلة العقاد لأن « المسافة بينه وبين شعراء العربية في هذا العصر أوسع من المسافة بين السوقة والأمراء »

وهذا — لو كان للأستاذ شيء من المنطق — يحط من منزلة العقاد إلى حدّ هائل ، إذ كيف وهو هو في علوه ورفعته لم ترض بأمارته سوقة ؟ ! !

كما أنه يحمل على الأستاذ سعيد أيضاً فيما كتبه عن العقاد لأنه « يجهل طبيعة العقاد ودوافعه في الحياة وعوامل الكتابة في نفسه » ويلتمس له العذر في ذلك لأنه « لم يختلط بالعقاد أولاً . ولأن نفسه لم تتفتح لأدب العقاد فيفهمه ثانيا » ويسمح هو لنفسه أن يكتب عن الرافعي ما يشاء وهو كما يعترف لا يعلم عن حياته شيئاً ولا يشعر في قراءته له بغير الكراهية والنفور ! ..

وأعجب من هـذا أنه كان « ينكر » أن تكون للرافعي « إنسانية » و « نفس » ولكنه لما رأى الأستاذ سعيد يتحدث عن « حبه » و « عاطفته ، وحين استطاع أن يكون ناقداً أصبح ينكر عليه « الطبع » بدل « الانسانية » ويريد منه « الأدب النفسي » بدل « الأدب الفني » . وفي هذا تناقض وسقم في الادراك . تناقض لأن في « الأدب النفسي » : الأدب الفني ، وفي أدب الذهن : « أدب الطبع » . وليس من يشك في أن الفن صورة لشعور النفس ، والطبع صورة لذهن الانسان .

ولعل حضرة الأستاذ سيد يذكر تجربة العالم Fopffer الذي أعلن هذه الحقيقة بكيفية مضحكة : فاستدعى خمسة وعشرين رساماً ، ورجا من كل واحد أن يصور له حماراً . وبعد الانتهاء لم يجد صورتين متماثلتين تماماً : فكل واحد صوره كما أوحاه إليه شعوره النفساني ، فهذا رسمه أبله . وذاك رسمه صبوراً . والآخر رسمه وديعاً . الخ . وكانت البراعة الفنية مترجمة عن خطرات النفس ، وإحساساتها . ثم استدعى خمسة وعشرين كاتباً ورجا منهم أن

---
(١) الرسالة عدد ٢٥١

يكتبوا عن الحمار أيضاً فكانت النتيجة كالأولى . وساعتئذ قرر Topffer أن الفن صورة لإحساس النفس، وهما متلازمان تلازم العرض للجوهر . فما دام للانسان « فن » فلا بد أن تكون له « نفس »

وأما « الطبع » فهو خاصة من خصائص الذهن ، لأن الطبيعة أول ما تنشأ عن العقل ، وفى أرضه تنبت وتمد عروقها ، وللعالم النفسانى R. André مائة وخمس وعشرون تجربة تؤيد هذا الاكتشاف ، منها : أنه وضع شيئاً من الحلوى فى مكان مرتفع ، وجاء بطفل صغير ، وأغراه ليتناولها ، فجعل الطفل تارة يمد يديه ، وطوراً يقفز وأخرى ينظر إليها فى صمت وسكون . ثم اهتدى إلى كرسى كان إلى جانبه ، وتمكن منها . فصار R. André كل يوم يضع قطعة أخرى من الحلوى ، والطفل يتناولها بالوسيلة المتقدمة بدون أدنى تفكير . ثم كان ذلك مرة كل أسبوع ، ثم كل أسبوعين ، ثم كل شهر . حتى كبر الطفل وأصبح يستطيع أن يتناول قطعة الحلوى بدون مساعد . ولكنه ظل على طبيعته المعتادة يستعين بالكرسى .

وبعد حين أقصى عنه الكرسى ... فضحك الطفل ومد يده وتناولها . واستمر « R. André » على وضع قطع أخرى ، فى أمكنة مختلفة ، واستمر الطفل على تناولها بيده . ثم أبعدها عنه حتى صار لا يستطيع أن يمسها بيده . وحينئذ فكر الطفل وأوحى إليه ذهنه أن يستعين بها ... وهكذا بقى « R. André » خمسين شهراً يكرر التجربة نفسها . وفي المرة الأخيرة أحضر جمعاً من علماء النفس والتربية وعلق قطعة من الحلوى فى سلك مرتفع بحيث لا يقدر الطفل أن يتناولها ... وعند ما أمره بأخذها ، شرع يستعمل جميع الوسائل التى اعتادها قبلاً دون تفكير فى إفادتها . وبعد لأى وقف قليلاً صامتاً ، ثم طفق يبكى ويلتفت إلى الحاضرين ... وعندئذ قام « R. André » وشرح أمره ، وصرح فى النهاية بأن جميع الطبائع والعادات كالمشى ، والبكاء ، والضحك وما شاكلها منبعثة عن العقل . وعلى هذا فطبيعة الأديب مستمدة من الفكر ومسيرة بأوامره . كما يتعين أن يكون « أدب الطبع » جزءاً من « أدب الذهن »

وإنى لأنصح لحضرة الأستاذ سيد قطب أن يرجع لمؤلف « R. André »[1] ، وإلى غيره من كتب السيكلوجيا التطبيقية فإنه لواجد فيها ما يبطل زعمه ، ويعود به إلى حظيرة الحق والسكون

* * *

وبعد ، فهذه نظرة قصيرة أحببت أن أشمر بها حضرة الأستاذ بأنه — نظراً لكتابته[2] وما حشاه فيها من « الأفكار » المضطربة مازال بعيداً عن النقد والحكم البرئ ، عساه أن يجنح إلى السلم ، ويعدل آراءه على ضوء المنطق ، ويقين الملاحظة

وإن لى رأياً فى أدب العقاد ، وأدب الرافعى ، كونته من مطالعتى لهما . سأعلنه متى قضت الظروف

« تونس » عبد الجليل محمد المحجوب

(١) Origine du caractère
(٢) « الرسالة » عدد ٢٥١

ليلى المريضة فى العراق

للدكتور زكى مبارك

(بقية المقال الحادى والعشرين)

وفى وادى السلام يقول الأستاذ على الشرق :

ثلاثون جيلاً قد ثوتْ فى قرارةٍ
تزاحم فى عُرب وفُرس وأكراد
فنى الخمسة الأشبار دُكّتْ مدائنٌ
وقد طُويتْ فى حُفرة ألف بغداد
عبرت على الوادى وسَفَّتْ عجاجةٌ
فكم من بلاد فى الغبار وكم ناد !
وأبقيت لم أنفض عن الرأس تربهُ
لأرفع تكريماً على الرأس أجدادى

وكذلك كان الدخول إلى النجف من باب السلام ، أى الموت !

وبحثت عن فندق فكان فندق السلام فتشاءمت ، ثم أسلمت نفسى إليه ، لعلمى بأنى صائرٌ لا محالة إلى السلام ، أى إلى الموت !

ثم رأيت فندق السلام بالنجف شبيهاً بأخيه فندق السلام فى حىّ سيدنا الحسين بالقاهرة . رأيت الناس ينامون زرافات فى حجرة واحدة ، فأخذت أمتعتى وانصرفت ، وذهبت إلى فندق ثان فرأيته أعجب من الأول ، فمضيت إلى ثالث فرأيته أغرب من أخويه ، وانتهى بى الطاف إلى غرفة حقيرة فى فندق حقير هو أعظم الفنادق بالنجف

ولعل الفنادق كانت كذلك لقربها من وادى السلام ، فهى تروض المرء على قبول الدفن مع من يعرف ومن لا يعرف ، وتقرّب إلى ذهنه صورة المساواة فى دنيا الأموات

* * *

كان غبار السفر الذى دام أكثر من أربع ساعات آذانى ، وكنت أحب أن أصلح من شأنى فى الفندق لأستعد لمقابلة البهاليل من آل ليلى ، فلم أجد فى الفندق ما يسعف ، ولكن لا بأس فسيعلم النجفيون بعد ساعات أنى نزلت فى فندق فيغضبون ويقولون (هذه فضيحة) وينقلون أمتعتى إلى منزل أحد الأصدقاء

وعندئذ أتذكر أن النزول فى الفندق كان عند أهل العراق علامة من علائم المسكنة ، يشهد بذلك قول الشاعر القديم

يا أيهـا السائل عن منزلى   نزلت فى الخان على نفسى
آكل من خبزى ومن كسرتى   حتى لقـد أوجعنى ضرسى

ويشهد بذلك قول شاعر حديث هو الرصافى :

سكنت الخان فى بلدى كأنى   أخو سفر تقاذفهُ الدروبُ

وأصرخ فى وجه النجفيين قائلاً : إن المدينة التى تخلو من فندق نظيف لا تسمى مدينة ، والذين عاشوا فى أوربا كما عشتُ لا يستطيعون النزول فى منازل الأصدقاء ، والفندق النظيف هو المأوى الطيب للضيف ، والحكومة المصرية لا تنزل ضيوفها فى غير الفنادق ، لأنها تعرف قيمة الفنادق ، وكذلك تصنع حكومة العراق حين تستقبل ضيوفها فى بغداد

فيا أهل النجف ، تذكروا أن مدينتكم فى حاجة إلى فندق نظيف ، وتذكروا أن مثل ذلك الفندق ينقل مدينتكم من حال إلى أحوال

* * *

خرجت من الفندق أتلفت ذات اليمين وذات الشمال لأرى شبيهات ليلى ، شفا الله ليلى وشفانى ، ومنحنى وإياها العزاء يوم الفراق ، إن كان لنا سبيلٌ إلى التلاق قبل الفراق

وساقتنى قدماى ، بل هدانى قلبى إلى الحرم الحيدرى

وقفت بصحن الحرم كالأرقم ، والحمد لله على نعمة العافية ، وليته يتفضل بحفظ هـذه العافية ولو عشر سنين لأداوى جميع المرضى من الملاح

وقلت فى نفسى : أنا تلميذ الشريف الرضى الذي يقول :

لو أنها بفناء البيت سانحةٌ   لصِدتُها وابتدعت الصيد فى الحرم

فإذا كان الشريف استباح الصيد فى الحرم النبوى فأنا أستبيحه فى الحرم الحيدرى

ودرت حول الضريح مرتين، ثم وقع البصر على فتاة ساجية الطّرف مشرقة الجبين تخفق القلب

ثم وقفت

أحاول عينيها بعينى والهوى   يشيع الحيا فى فؤادى وأعضائى

وظنت الفتاة أنها أقدر مني على الفتون ، فحاولت قتلي ، ثم لطف الهوى فصرعتها ، فجمعت ما تبدد من قواها ، وفرت فرار الغزال المطعون

وعدَوتُ لاقتناصها فلم أفلح . وكيف يعدو النشوان وهو كالمقيد في الشوك !

من أي سحر صيغت تلك العيون ؟

وإلى أية غاية تسير تلك العيون ؟

ولأية حكمة خلقت القادر تلك العيون ؟

لقد أفلح الدساس الظريف الذي نقلني إلى النجف ، وهو على ظرفه لئيم خبيث

وبالنجف الحاري[1] إن زرت أهله
مهاً مهملات ما عليهن سائس

خرجن بحب اللهو في غير ريبة عفائف باغي اللهو منهن آيس

ثم طفت بالحرم مرة ثانية فوجدت ناساً يقرأون أدعيات وصلوات وحولهم نساء يبكين ورجال يبكون، فوقفت أسمع وأبكي، وهل في الدنيا بلاء مثل بلائي ؟ أنا العاشق المهجور الذي غدرت به ليلاه . ولو كانت ليلى واحدة لصبرت ، ولكنهن ليليات !

فيا بديع الملاحات ويا فاطر السموات ، كيف ترى حالي !

ويا خالق النخيل والأعناب، كيف سكبت الصهباء في روحي؟

ويامجري الدمع في الشؤون، كيف علمتني وعلمت الحمائم النُّـواح

وما الذي أعددت لتكريمي يوم ألقاك وقد سبَّحت بحمدك فوق أفنان الجمال !

وما عندك لسلامتي من الناس ، وقد خاصمت فيك جميع الناس !

* * *

وطفت بصحن الحرم مرة ثالثة فوجدت ضريح الحبوبي الذي يقول :

اسقني كأساً وخذ كأساً إليك فلذيذ العيش أن نشتركا

وإذا جدت بها من شفتيك فاسقنيها وخذ الأولى لكا

أو لحسبي خمرةٌ من ناظريك أذهبت نسكي وأضحت منسكا

وانهب الوقت ودَعْ ما سلفا واغتنم صفوك قبل الرَّنق

إن صفا العيش فما كان صفا أو تلاقينا فقد لا نلتق

وعند ذلك الضريح طال بكائي ، فهذا شاعر قضي حياته في التغني بالجمال ، ثم رآه النجفيون صوفياً فدفنوه بجوار أمير المؤمنين ، وأنا أفنيت شبابي في التغني بالجمال ولم أجد غير العقوق !

فتى يعرف قومي أني صوفيٌّ يؤمن بوحدة الوجود؟

ومتى يعرف قومي أني أصدق تلاميذ ابن الفارض في هذا الزمان ؟

اللهم لطفك ورحمتك ، فقد طال بلائي بالناس !

* * *

يئستُ من الصيد في الحرم الحيدري بعد فرار تلك الغزالة ، وبدأتُ أعتب على سيدنا علي بن أبي طالب ، فمثلي لا يُكرَم في رحابه بالماش والجلاَّش ، وإنما يكرم مثلي بالهيام في أودية الفتون ، وما كنت في حياتي من الفاسقين ، وإنما كنت مؤمناً يتقرب إلى ربه بعبادة الجمال

وفي حومة هذا العَتْب تذكرت أن لي في النجف صديقاً من تلاميذ الأستاذ محمد هاشم عطية هو السيد محمد تقي آل الشيخ راضي ، فقلت أذهب إليه عساه يجد السبيل إلى الظبية التي نفرت مني ، ولكني ما كدت أصل إلى منزله بعد طول البحث حتى وجدته في ارتياع ، فقد علم أن الشرطة في النجف تبحث عني ، لأني في ظنهم وردت النجف لطاردة الظباء ، وقد رأى بفطرته السليمة أن ينفي الشبهة فدعا علماء النجف للتسليم على العالم العلامة الدكتور زكي مبارك !

وما هي إلا لحظة حتى كانت الدار تموج بالغرّ البهاليل من أقطاب النجف

وجلست بين القوم جلسة العالم الحق ، وما يصعب عليّ أن أمثل هذا الدور الفظيع ، فانتقدت صاحب مجلة الحضارة لأنه يدعو إلى تعديل المذاهب القديمة في التعليم ، وقلت إن مذاهب التعليم في النجف كمذاهب التعليم في الأزهر لا ينبغي أن تزول

وعجب القوم من أن يصدر هذا القول عن رجل متخرج في السوربون

ولكني في الواقع لم أكن مرائياً ، فقد صح عندي أن الأساليب الأزهرية والنجفية أساليب تنفع أجزل النفع في رياضة

---

(١) الحاري نسبة إلى الحيرة على غير قياس . وفي معجم ياقوت (الجاري) وهو تحريف

٦٥ /١٠

العقل ، يضاف إلى ذلك أن الأزهر هو الذى حفظ اللغة العربية فى عهد المماليك ، وأن النجف هو الذى حفظ اللغة العربيـة فى عهد الأتراك ، ورعاية العهد توجب الابقاء على تلك الأساليب التى استطاعت أن ترسل النور الوهاج فى دياجير الظلمات

وبعد طول الحوار فهمت أن فى النجف ثورة فكرية تشبه الثورة التى وقعت فى الأزهر منذ أكثر من ربع قرن ، وعرفت أن طلبة العلم فى النجف يريدون أن يغيروا حالهم ليسايروا مناهج التعليم فى العصر الحديث

وقد تأكد ذلك المعنى حين قال الأستاذ الصورى : ما رأيك يا دكتور فى أن أخلع عمامتى ؟ فقلت : أنا أبغض المعممين الذين يخلعون عمائمهم ! فقال : هل تعرف ما قلتُ فى العمامة ؟ لقد قلت : إنها منعت رزقى وفسقى

فابتسمت وقلت : وكيف تعيش يامسكين بلا رزق ، وبلا فسق ؟ !

وتقدم الأستاذ البلاغى صاحب مجلة الاعتدال فقص أحاديث يشيب لها الوليد ، ومنها عرفت أن طلبة العلم فى النجف يعيشون فى بؤس . وقد طفر الدمع من عينى حين سمعت أن عالما نجفيا أشرت إليه فى كتاب (عبقرية الشريف الرضى) جلس فى صحن الحرم الحيدرى يبيع كتبه ليسدّ ما عليه من ديون ، ديون لم يجنها لهوٌ ولا مُجون ، وإنما جناها الخبز والماء

وكان هذا العالم المحقق لقينى فى الكاظمية منذ أشهر ، لقينى لقاء المساكين ؛ ولما لقينى فى النجف تبسم وقال : كنت فى الكاظمية غريباً ، وأنا اليوم فى بلدى ، وأنا حاضر لخدمتك

وكنتُ أحب أن أقبل دعوته الكريمة ، ولكنى واأسفاه كنت عرفت ترجمة حاله منذ لحظات ففررت من كرمه بترفق وتلطف

لا تحزن أيها الزميل ؛ فسيكون لى ولك مكانٌ بين الصابرين
لا تحزن ، فالدنيا أحقر من أن يبكى على نعيمها أحرار الرجال
لقد سمعت أنك بعت دارك بثمن بخس لتسدد ديونك . فهل علمت أن لك عُقبى الدار يوم يجزى الله الصابرين ؟

* * *

ثم مضيت فطوّفت بالنجف وحولى جيش من أهل العلم والأدب والبيان ، وفى أحد المنعطفات وقع البصر على طفلة من قريبات ليلى ، فمددت يدى أمسح خدها الأسيل فصرخت ، وتضاحك الرفاق ، ولكنى سأرجع بإذن الله إلى النجف لأعرف أهل تلك الطفلة وأخطبها لأحد أبنائى ، وبيت أهلها يقع فى دربونة متصلة بدربونتين إحداهما توصِّل إلى الرابطة الأدبية ، والثانية توصِّل إلى الحرم الحيدرى ، ولذلك البيت روشن عليه بوّادة ، وبداخله بئرٌ وسرداب ، وفوق الروشن حمامتان تسجعان ، وفوق عتبات ذلك البيت تتحدر مدامع العشاق

ياشبيهة ليلى فى حسنها ودلالها ولؤمها وغدرها ! ترفقى بقلبى فقد تركته فى الدَّربونة لتدوسه فى كل صباح أقدامك الرقاق

ياشبيهة « كريمة » الغالية التى تداعب أباها فى الأحلام تذكَّرى أن طيفاً زارك فى النجف ولن يعود . ياأخت «زينب» ، تذكري أن الرجل الذى مدّ يمينه ليمسح خدك الأسيل لم يكن فاجراً ، وإنما هو مجاهد ترك وطنه وأهله فى سبيل العقيدة والوجدان

اليك دمعى ياحلوة ياجميلة ، وهو دمعٌ تمرَّد على الخطوب ، ثم أذلَّته عيون الملاح . أحبك أيتها الطفلة الوسيمة وأشتهى أن أسمع صراخك مرة ثانية ، فما كان وحق الحب إلا صراخ الدلال

واستيقظت فى اليوم التالى مبكراً لأرى الكوفة ، ولأقف بأطلالها كما وقف أستاذى ماسينيون ، وكان أكبر همى أن أرى مسجد الكوفة الذى طُعن فيه أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، والذى فار فى زاويته التنُّور لعهد نوح عليه السلام ، والذي صلى فيه ألف نبيّ وألف وصيّ ، والذى فيـه عصا موسى ، والذى هلك فيه يغوث ويعوق ، والذى يحشر منه يوم القيامة سبعون ألفاً ليس عليهم حساب ، وفى وسطه روضة من رياض الجنة

كذلك تقول الأساطير

وما كانت فى عينى وقلبى أساطير ، وإن كنتُ تلميذ منصور فهمى وطه حسين

لقد شهدت بعينى كيف طُعنَ على بن أبى طالب ورأيت دمه رأى العيان

ورأيت المكان الذى خطب فيه الحجاج خطبته المشهورة ، الحجاج الهائل الذى أصلح العراق ، وأفسد العراق

ورأيت قبر مسلم بن عقيل رسول الحسين ، ورأيت كيف يبكى الناس على قبره وكأنما قُتل بالأمس ، فتذكرت أن العراق

يحوى ثروة عظيمة جداً من الحماسة الوجدانية ، وتذكرت أن العراق تغلب عليه سرعة الانفعال ، فهو يقتل المصلح بلا ترفق ، ثم يحمل البكاء عليه شريعة من الشرائع

تذكرت أن العراق كالقوة الكهربائية التي تحيي وتميت ، وهو ينتظر رجلا في طغيان الفرات وسماحة النيل

إن العراق من قوى العروبة والاسلام، ولكن أين من يعرف؟

لقد هدانى العراق وأضلنى، وكان على الدهر مصدر هداية وضلال

* * *

ثم مضيت ألتمس آثار الحيرة البيضاء ، مضيت ألتمس آثار الخورنق ، فلم أعرف ولم يعرف رفاقي أين الخورنق

وكان هيامى بأطلال الحيرة موسماً من مواسم الشعر والخيال، وفي ذلك الهيام عرفت شيئاً من مدنية العرب في الجاهلية

ولو كان لي شيء من الأمر في حكومة العراق لأجريت نهر السدير من جديد لأنقش في وجه الزمن ذكريات النعمان

مضينا إلى أطلال الخورنق مع سائق جهول فقادنا إلى مكان موحش ، فقال الرفاق : ليس هذا مكان الخورنق . فقال السائق : أنتم تبحثون عن أحجار ، وههنا أحجار !

صدقت أيها الجهول ، فنحن نبحث عن أحجار ، ولكننا نبحث عن أحجار نواطق !

عندئذ تذكرت فراعين مصر ، فقد كانوا يدركون أن الزمن لئيم غدار ، وأن التاريخ كلام في كلام ، فبنوا أهرامهم وقصورهم بأساليب يعجز عن فهمها الزمان

وقد تقوضت آثار الملوك في المشرقين والمغربين وعجز الدهر الغادر عن هدم آثار الفراعين

ما أشقاك في دنياك وأخراك أيها النعمان ! أنت قتلت سنمّار ليبقى سر الخورنق ، فهل بقى الخورنق ؟

ليتك استعنت الجندى المجهول في وادى النيل ، ليتك بنيت هرماً يعجز اللئام عن نقل أحجاره ليبنوا بيوتهم الخاوية

أيها النعمان ، سلام عليك من شاعر مصرى يبكى لمصيرك في التاريخ !

أيها النعمان ، أيها الملك العربى العظيم ، أين الخورنق وأين السدير ... ؟

إعترف أيها الملك بعظمة الشعر والشعراء ، فنحن الذين حفظنا مكانك في التاريخ ، ولولا الشعراء لطمس الزمن مكانك في التاريخ

وفدت على أطلال قصرك وأنا جائع ظمآن فما تزودت غير الأسى والأنين

وفدت على أطلال أنكرتها العين ، وعرفها القلب

وفدت على أطلال لم يعرفها جيرانك من أهل النجف ، وعرفها شاعر مصرى مظلوم ينكره أهله ، كما أنكرك أهلك

فيا زميلي في البؤس والشقاء ، سلام عليك

ثم مضينا نمتع النظر بطغيان الفرات ، وأين طغيان الفرات من طغيان قلبي !

هذه الكوفة الاسلامية ، وتلك الحيرة الجاهلية ، وأولئك النافلون من العرب والمسلمين . فيا رب الأرباب أنقذ عبدك المسكين من ظلم الجحود والعقوق

* * *

ورجعت إلى النجف أسأل عن أخوات ليلى ، ولكن كيف ؟ إن النجف كله يطارد العاشق المسكين الذى ضيع مستقبله في سبيل هواه

ويصمم النجفيون على إقامة حفلة تكريم للدكتور زكي مبارك فأرفض، لأن تلك الحفلة كانت توجب أن أتخلف عن دروسي في دار المعلمين العالية ، والتخلف عن دروسي أمر مستحيل . وكذلك أقهر علماء النجف وأمتطى السيارة إلى بغداد

رجعت في زى المساكين لأنى لم أجد الشفيع إلى ليلاى

رجعت ذليلاً مقهوراً ، فماذا أصنع ؟

آه من حبى وغرامى وبلواى !

لقد هجرتنى ليلى وصدفت عنى ظمياء

فلأذهب إلى الموصل لأستشفع بقريبات ليلى هناك

إلى الموصل الذى رقدت في ثراه عظام أبي تمام أمتطى قطار المساء ...

(للحديث شجون) زكي مبارك

التاريخ في سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادي ! خـذوا معاني العظمة في نـفها الأعلى من سيرة هذا العصامي العظيم ....

— ١٦ —

وما كان إبراهام كما أسلفنا يطمع من وراء هـذا النزال أن ينال لنفسه شيئا ؛ وهل عُرفت في خلقه غميزة منذ كان يقطع الأخشاب ليشترى بالمئات منه سروالا ؟ أو ليست كراهته لنظام العبيد ترجع إلى صـدر شبابه ؟ أو لم يتنز بالألم قلبه يوم سافر إلى نيو أورليانز في تجارة لأحد الناس ورأى هنالك أسواق الرقيق ووقعت عيناه فيما وقعتا على تلك الفتاة التي عرضت نصف عارية على الأنظار كأنها مهرة كريمة ؟

منذ ذلك اليوم وهو يسير إلى غاية ، شعر بذلك أو لم يشعر به ؛ فلقد استقر في نفسه مالا تقعـد معه عن العمل أو تنصرف عن الغاية ، فكانت ثمة عزيمة تهون أمامها جسيمات الأمور ، وكانت ثمة رسالة يحلو في سبيلها الجهاد ويطيب الاستشهاد ؛ ومرد ذلك كله إلى قلب إنساني كبير ونفس مطمئنة صابرة ، وبصيرة كأنما تشرف من حاضرها على المستقبل فلا تقف من دونها حجب الغيب ...

إنه اليوم كما أراد حزبه ينافس دوجلاس على مقعد في مجلس الشيوخ فهل كان ذلك قصارى همه ؟ كلا . وما كان بعض همه أن يرق إلى كرسي الرياسة ذاته ؛ وإنما كان همه أن تتحقق مبادئه ولو بذل في سبيلها نفسه ؛ ولن يكون مقعد الشيوخ أو كرسي الرياسة عنـده أمراً ذا بال إلا أن يكون وسيلة إلى السير بمبادئه إلى حيث يعتنقها الناس ؛ وإلا فـا الجاه والثراء والحكم عنده إلا من صغيرات الأمور ؛ وهو إنما ينفر من كل أولئك بطبعه الذي يعزف عن الزهو ، ويتخوف دواعي البطر ...

وإن أمثال ابن الأحراج هذا في تاريخ البشرية لقليلون ، ولكنهم هم الذين رسموا لها طريقها ، وولوها قبلتها التي ارتضوها لها وأشاروا بأيديهم إليها ، وما كان أتعس البشرية لو أنها افتقدت هؤلاء الذين يتمثل بهم ضميرها أناساً يمشون على الأرض

قال إبراهام ذات يوم من أيام ذلك النزال « لست أدعى أيها السادة أني غير أناني ، ولن أتظاهر بأني لا أحب أن أذهب إلى مجلس الشيوخ ، كلا لن آتي هذا الادعاء المنافق ، ولكني أقول لكم إنه في هـذا الجدال الصارم ، ليس يعنيكم ولا يعني عامة الناس من هذه الأمة ما إذا كان القاضي دوجلاس أو ما إذا كنت أنا بحيث تستمعون عنا بعدهذه الليلة أو لا تستمعون . ربما كان هذا أمراً تافهاً بالنسبة لكلينا ، ولكنه إذا اعتبر من حيث علاقته بتلك المسألة العظيمة التي ربما كان يتوقف عليها مصير هذا الشعب فانه يكون في حكم العدم »

هذا هو ابراهام رجل المبدأ لا يعنيه أن يظفر أو أن ينهزم ، وإنما تعنيه تلك المسألة العظيمة ؛ ولن يهدأ له بال حتى تحل أو تسير في سبيلها إلى الحل

وأنى لدوجلاس أن يقف في وجه تلك القوة المانية ؟ أنى له أن ينال من ذلك الذي يتكلم فيخيل إلى سامعيه كأن الأخلاق نفسها تقول كلمتها . حاول دوجلاس أن يعبر مرة عن عدم المبالاة من جانبه في مسألة العبيد فانبري له ابراهام قائلا : « إنني أبغض مثل هذا المظهر ، مظهر عدم المبالاة ... إن من شأنه أن يضعف حاسة العدالة في دولتنا ، وإنه ليعطي أعداء النظام الدستوري السلمي شبه حق أن ينظروا إلينا كأننا منافقون ، كما أنه في نفس الوقت يعـد أنصار الحرية الحقيقيين بسبب وجيه لتشككهم في إخلاصنا » ... وقال في معرض آخر :

« إنكم باعتيادكم أن تطأوا حقوق غيركم إنما تفقدون بذلك حقيقة استقلالكم أنتم ، وتصبحون طعمة لكل طاغية يخرج من بينكم . دعوني أخبركم أن مثل هذا إنما يعده لكم منطق التاريخ ، إذا جاءت أدوار الانتخاب الآتية بحيث تجعل الحكم في قضية درد سكت التالية وغيره من الأحكام أمراً يقبله الناس . إنكم تستطيعون أن تخدعوا كافة الناس ردحاً من الوقت وبعض الناس طول الوقت ، ولكنكم لن تستطيعوا أن تخدعوا جميع الناس طيلة الأبد »

يمثل هذا المنطق السائغ، ويمثل هذه العبارات السهلة الأخاذة كان ابراهام يأخذ الطريق على دوجلاس في غير مشقة ؛ وكان الناس كأنهم يلمسون الصدق في هذه العبارات وأمثالها ؛ وهم واثقون من نزاهة غرضه وشرف مقصده ...

ويريد ابراهام أن يصور موقف كل من الولايات القديمة والولايات الجديدة من نظام العبيد ، فيصل إلى غايته في وضوح ويسر بعبارته الآتية التي أعجب بها السامعون، قال: « إذا أنا أبصرت ثعبانا قاتلا يزحف في الطريق فأن أي رجل يقول بأن لي أن أعمد إلى أقرب عصا فأقتله ؛ ولكني إذا وجدت هذا الثعبان في السرير بين أطفالي فان المسألة تتخذ وضعاً آخر فاني ربما آذيت أطفالي أكثر مما أوذي الثعبان وربما عضني ذلك الثعبان . وتختلف المسألة أكثر من ذلك إذا أنا وجدت ذلك الثعبان في سرير أطفال جاري وكنت على اتفاق وثيق مع ذلك الجار ألا أتدخل في شؤون أطفاله مهما يكن من الأمر ... ولكن إذا كان هناك سرير قد صنع حديثاً وأزمع حمل الأطفال إليه واقترح أن يحمل إليه عدد من الثعابين توضع مع الأطفال ، فليس في الناس من يرى أن هناك اختلافا في أي الطرق أسلك »

ولقد عرفنا فيما سلف من خلال ابراهام قدرته على التهكم ، ورأينا كيف يرشق خصومه في ساحة القضاء بتهكماته حتى يزلزل أقدامهم ، كل ذلك في عذوبة روح وترفع عن الاساءة وحذر شديد أن يجرح إحساس أحد ؛ وها هو ذا اليوم في مناظرته دوجلاس يعمد إلى ذلك السلاح في مهارة يضيق عنها ذكاء خصمه وتتخلف دونها بديهته ، ويذهل عندها مكره . استمع إليه كيف يسفه وسائله ويزيف آراءه، وقد رأى منه أنه غير رأيه وأنكر رأيا سالفا له « أقول إنك خلعت قبعتك ، وإنك تثبت أني كاذب بوضعها على رأسك من جديد ؛ وهذا هو كل مالك من قوة في هذا الجدال » ثم انظر إليه كيف يحمل الناس على الضحك بأن يستخرج من إحدى عبارات دوجلاس ما يشبه القانون الرياضي ، قال دوجلاس : « إذا كان النضال بين رجل من البيض وبين زنجي فاني أقف إلى جانب الأبيض ، أما إذا كان بين زنجي وتمساح فاني مع الزنجي » فأجاب ابراهام بقوله « يستنتج من ذلك أن الرجل الأبيض من الزنجي كالزنجي من التمساح ، وعلى ذلك فبقدر ما يكون من الحق في معاملة الزنجي للتمساح يكون منه في معاملة الرجل الأبيض للزنجي »

ولم يدع إبراهام قولاً مما ساقه دوجلاس مساق المبادئ إلا حمل عليه وكشف عما فيه من بهرج ، ومن ذلك ما أعلنه دوجلاس في مسألة نبراسكا وأبى إلا أن يسميه مبدأ سيادة الشعب ؛ قال إبراهام : « مبدأ سيادة الشعب معناه حق الشعب أن يتولى حكم نفسه ، فهل اخترع ذلك القاضي دوجلاس ؟ كلا؛ فلقد اتخذت فكرة سيادة الشعب طريقها قبل أن يولد صاحب مشروع نبراسكا بعصور، بل قبل أن يطأ كولبس بقدميه أرض هذه القارة ... فاذا لم يكن القاضي دوجلاس هو مخترع ذلك المبدأ فدعنا نتتبع الأمر لنتبين ماذا اخترع . أهو حق المهاجرين إلى كنساس ونبراسكا في أن يحكموا أنفسهم وعدداً من الزنوج معهم إذا أرادوا ذلك ؟ يظهر في وضوح أن ذلك لم يكن من اختراعه، لأن الجنرال كاس قد أعلن ذلك قبل أن يفكر دوجلاس في مثله بست سنوات ... وإذاً فماذا اخترع المارد الصغير ؟ لم يخطر على بال الجنرال كاس أن يسمى اكتشافه بذلك الاسم القديم ألا وهو سيادة الشعب . أجل لقد استحى أن يقول إن حق الناس أن يحكموا الزنوج هو حق الناس أن يحكموا أنفسهم . وهنا أضع تحت أنظاركم اكتشاف القاضي دوجلاس بكل ما فيه ؛ لقد اكتشف أن تربيـة العبيد والاكثار منهم في نبراسكا هو سيادة الشعب »

رأى دوجلاس يعمد إلى المداجاة ، ويجهد أن يلبس الحق بالباطل فشبهه بنوع خاص من السمك من خصائصه أن يفرز مادة سوداء كالمداد يضل بها الصيادين ، فهو لا يفتأ يرسل من العبارات الجوفاء ما يرمى به إلى التعمية وطمس الحقائق... والناس يضحكون مما يقول أبراهام معجبين به مستزيدين منه ...

ولقد رأى أبراهام في ذلك الصراع فرصة قلما تتاح له مثلها فعول ألا يدع في مسألة العبيد شيئاً غامضاً ، وأخذ يقلبها على وجوهها في سهولة تستهوى الألباب ، تلمس ذلك في مثل قوله عن المتمسكين بمبدأ العبيد ، قال : « إن مبدأ الاستعباد عندهم يظهر لى كما يأتى : ليست العبودية صواباً من جميع الوجوه ، وليست كذلك خطأ من جميع الوجوه ، وإن من الخير لبعض الناس أن

يكونوا عبيداً ، وأنهم في هذه الحال يكونون خاضعين لإرادة الله ... حقًّا ما كان لنا أن نعارض مشيئة الله ، ولـكن لا تزال هناك صعوبة في تطبيقها على بعض الحالات الخاصة ، فمثلاً لنفرض أن هناك شخصاً اسمه الدكتور روس الموقر يملك عبداً اسمه سامبو فانا نتساءل هل مشيئة الله أن يظل سامبو عبداً أم هي أن يطلق سراحه ؟ وإنا لن نظفر من الله باجابة مسرعة عن هذا السؤال ، ولن نجد في كتابه الانجيل جواباً لذلك ، أو لا نجد في الغالب إلا ماهو من شأنه أن يثير الجدل حول معناه ... ولا يفكر أحد أن يسأل مارأى سامبو في ذلك . وعلى ذلك يترك الأمر في النهاية للدكتور روس ليفصل فيه ؛ وبينما هو يفكر في الأمر تراه يجلس في الظل وعلى يده قفازه يقتات بالخبز الذى يكسبه سامبو تحت الشمس المحرقة ، فاذا هو قرر أن مشيئة الله هي أن يظل سامبو عبداً فانه بذلك يحتفظ بوضعه المريح ؛ أما إذا قرر أن مشيئة الله هي أن يصير سامبو حرًّا فان عليه أن يخرج من الظل وينزع قفازه ويكدح من أجل خبزه ؛ فهل يفصل الدكتور روس في الأمر بما تقضى به النزاهة التامة التي لابد منها في كل فصل حق ؟ »

وانتهى ذلك الصراع الذى اشتهر أمره ، فكان نصيب الجمهوريين من المؤيدين مائة وخمسة وعشرين ألفاً ؛ ونصيب الديمقراطيين دون ذلك بأربعة آلاف ؛ ولـكن مجلس الولاية التشريعي هو الذى كان يختار عضو مجلس الشيوخ ، وكان بهذا المجلس أربعة وخمسون عضواً من الديمقراطيين وستة وأربعون من الجمهوريين ؛ ولذلك فاز دوجلاس فصار عضو مجلس الشيوخ ! ولقد عد انتصاره في نظر بعض المؤرخين بعد هذا الصراع أعظم انتصار شخصى في تاريخ أمريكا السياسي . . .

***

وهكذا يفشل ابراهام مرة أخرى في الحصول على مقعد في مجلس الشيوخ ، ويحظى دوجلاس دونه بذلك المقعد ؛ ولـكن ابراهام على عادته لا يعبأ بهذا الفشل ، بل إنه ليستشعر الراحة بينه وبين نفسه أن استطاع أن يسمع تلك الآلاف صوته ؛ وإنه ليحس أن مبادئه قد أخذت سبيلها إلى قلوب الـكثيرين منهم على صورة طالما منى نفسه بها ، وأى شيء هو أحب إليه من ذلك ؟

لقد أصبح اسمه على كل لسان ، وصار يعتبر من رجال أمريكا المعدودين ، وأضاف الناس في الشمال إلى ألقابه لقباً جديداً فقالوا لنكولن « قاتل المارد » ، وطنطنت باسمه الصحف ؛ ومن ذلك ما قالته نيويورك ايفننج بوست ، « لم يصل رجل في هذا الجيل إلى الشهرة في قومه بمثل تلك السرعة التى وصل بها لنكولن في هذا الانتخاب » ؛ وكتب إليه رجل غريب عنه يقول : « إن مثلك اليوم كمثل بيرون الذى أفاق ذات يوم من نومه ليجد نفسه ذائع الصيت ؛ إن الناس يستنبؤون عنك بعضهم بعضاً ، لقد قفزت دفعة واحدة من محام له الصدارة في الينواس إلى الشهرة القومية »

أما هو فقد وصف شعوره يومئذ بقوله : « مثلي مثل الصبي الذى اصطدم أصبع قدمه بشيء آلمه ، فكان الألم أشد من أن يصحبه ضحك وكان الصبي أكبر من أن يبكي » ...

ولاقى إبراهام عنتاً من بعض خصومه في تبرسبرج ، فلقد أرادوا إيذاءه فتصايحوا ضده ، وأسمعوه من البذاء ما أعرض عنه إعراض المؤمنين الصابرين ... ولـكنه في أثناء استقبل استقبال الفاتحين لحمله شباب المدينة على أعناقهم والألوف تهتف به ؛ وهو ضائق بهذا يقبله على رغمه ولو أنه استطاع أن يفلت منه لفعل ذلك مسرعاً ولـكنه لا حيلة له فيه ؛ وما كان أشبهه ساعتئذ بالخليفة الثاني عمر حين صاح بقومه أن كاد يقتله الزهو !

أجل ؛ لقد تبرم لنكولن بهذا الزهو ، فما كان من شيمته أن يزهى ، ولا كان من خلقه أن يترفع أو أن يطغى ؛ بل كان لا يتزايد حظه من الصيت إلا تواضع ، ولا يعظم نصيبه من النفوذ إلا خفض جناحه وألان جانبه للناس جميعاً ، أولياؤه وخصومه في الرأى في ذلك سواء ...

وعاد إبراهام إلى سبرنجفيلد بعد أن قضى في ذلك النزال أكثر من شهرين ؛ عاد إلى زوجه وأولاده فلقيته مارى راضية عنه على الرغم من إخفاقه في الحصول على مقعد في مجلس الشيوخ . أو ليست ترى الصحف كلها تذكر زوجها وترى أكثر صحف الشمال تطنب في مدحه وتمده بطلاً من أبطال قومه ؟ أو ليست هذه هي النغمة التي يحلو لها سماعها ؟ وأى شيء أحلى في قلبها وقعاً من أن ترى نفسها زوج رجل عظيم يعرف الناس بعظمته ...

وأقبل على المحاماة من جديد فلقد أنفق في هذا الصراع من المال ما أرهقه من أمره عسراً ؛ هذا إلى أنه بانقطاعه طيلة تلك الأيام عن مهنته لم يكسب من المال شيئاً ؛ وهكذا يعود ابن الغابة إلى كدحه ليقيم أوده وأود أسرته بينما يذهب دوجلاس الثرى يرفل في النعمة إلى وشنجطون ويجرر ذيل الخيلاء السابغ الضافى

(يتبع) الخفيف

حديث الرمزية

للدكتور بشر فارس

حديث يأبى أن ينقطع سلكه ، إلاّ أنه منزّه عن الفضول واللغو لطرافته ثم لتنوع مستطرداته . ووراء الأمر ظاهرتان : الأولى انجذاب نخبة من الأدباء والقراء إلى الجديد كأنهم يفطنون أن أعواد بعض أساليب الإنشاء القائمة الآن قد شظفت أي شظف حتى إنها أمست تعجز عن حمل الثمر ؛ أو كأنهم يلمحون في المذهب الرمزي بما قرأوا عنه — قلّ أو كثر — أداة فيها ما فيها من المتانة والاستقامة ، وإن بدت ضرباً من ضروب الافلات من قيود المنطق « الجليل » صاحب السلطان الأعلى في التأليف والتفكير . وأما الظاهرة الثانية فاستعداد القراء لتفهُّم مذهب لا يكاد يتصل بما ألفوه من الأدب العربي الحديث ، فكأنا نشأنا على قراءة الهزْل الوضوعي عند المويلحي ، والتصنع اللفظي عند البكري ، والابتداعية (romantisme حسب ترجمة الأستاذ الزيات) المفرطة حتى الازعاج عند المنفلوطي . ثم قامت بعد ذلك طرائق ، فكانت الطريقة التحليلية الواقعية في مصر ، والطريقة التخيُّلية في المهجر

والظاهرتان دلالة على ارتجاج الذهنية الاتباعية ، وشهادة لارتقاء شأن الاستحداث المطّرِد في الأدب . فأبْشِرْ بهما !

* * *

يقول الأديب الفاضل السيد كامل الشرقاوي في الرسالة (رقم ٢٥٨ — البريد الأدبي) « والرمزية — بعد — في الأدب العربي (المستحدث) في أول الطريق ، فالحديث ذو شجون ولازم على من يشقّون ويوسّمون الطريق لها فيه أن يطيلوا الكلام والابانة عنها للسالكين . وما أحرى الدكتور بشر في هذا المقام . . . أن يوالي مجلة الرسالة القراء بمقالاته . . . عن الرمزية يوضح طرائقها ويترجم لزعمائها وقادتها ومدارسها منذ نشأتها إلى الآن توطئة لتأليف رسالة عنها بقلمه . . . »

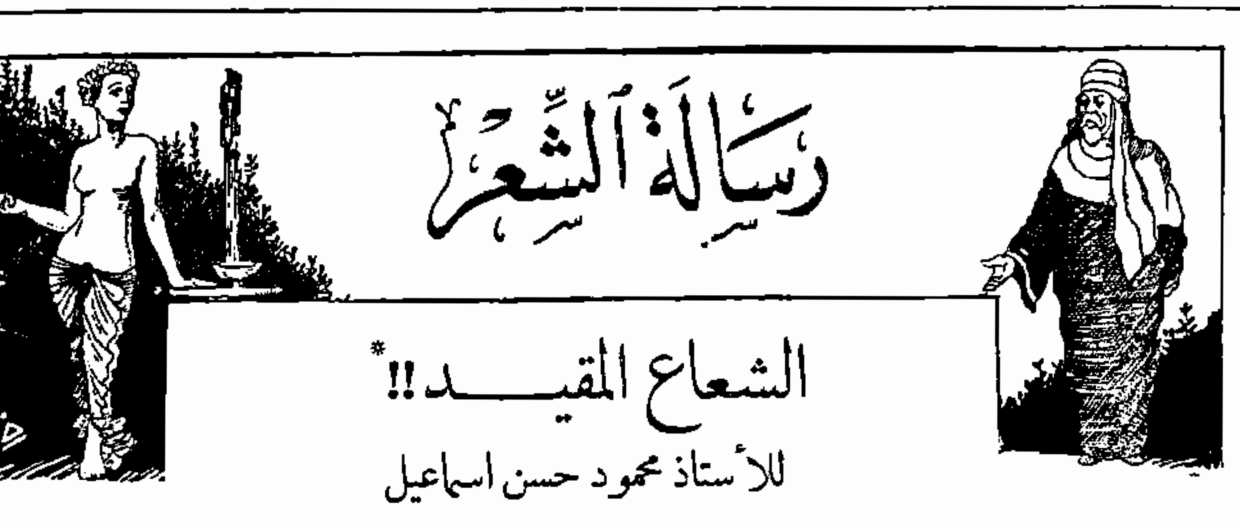
إني أشكر للأديب الفاضل رقة كلامه وحسن ظنه بي . غير أني أرى غير رأيه . فالذي عندي أن المنشئ المنصرف إلى الاستحداث في التأليف يُخرج ما يُخرج ثم يقبل النقاد ينظرون فيه ، ويُطلعون القراء على خصائصه ، ويدنون لهم طريقته إن هي بعدت عما خبروه ، ويسوقون لهم قصتها ، ثم يبرزون لهم انحراف المنشئ من هنا وهناك عن تلك الطريقة إن هو قدر على أن يدسّ فيما يكتب ما يشف عن شخصيته . هذا وإن ظفر إنشاؤه بالقبول وجدرت العناية بطريقته ، قام العلماء بتاريخ الأدب والمنقطعون للبحث في فنونه وأساليبه يؤلفون المقالات والرسائل ، فيدفعون إلى القراء ما غاب عنهم ، ويبذلون لهم ما أشكل عليهم

والذي جرى للرمزية أني ألّفت مسرحية على طريقتها مع شيء من الاستقلال بما نفسي إليه ترفّ وقلمي له ينساق . ثم جاء النقاد فأحست فئة منهم بغرابة الطريقة عن أذهان قراء العربية ؛ فاستهل الأستاذ صديق شيبوب النقد بالكتابة في الرمزية (جريدة البصير) ، وأردف الأستاذ الفنان زكي طليمات النقد ببحث لطيف فيها قائم برأسه (مجلة الرسالة) ، ونشر الأستاذ أبو شهلا التوطئة التي عملتها للمسرحية ذهاباً منه أنها وافية (مجلة الجمهور البيروتية) ، ونوّه بشأن هذه التوطئة الأستاذ الأب الكرملي والأستاذ الصيرفي (في المقتطف) والدكتور زكي حسن (في الأهرام) والأستاذ كامل محمود حبيب (في المقطم) والأستاذ ادجار جلاد في (Le Journal d'Egypte) ، ثم نبه الأستاذ نجيب شاهين إلى اتصال الرمزية بالتصوف وخروجها عن الوضوح التام (في المقطم)

ثم فزّ أحد من المتخرجين في كلية الآداب للجامعة المصرية ومن طلبة العلم في « جامعات فرنسا » ، وإذا هو يؤلف مقالة عجيبة قد بين مبلغ اضطرابها الأستاذ محمد فهمي في مجلة الرسالة (رقم ٢٥٦)

والرأي إذن أن للمنشئ عملاً وللناقد عملاً وللعالم ثالثاً ؛ غير أن المنشئ ربما حق عليه أن يؤلف المقالة أو الرسالة في الكتاب الذي يخرجه دفاعاً عنه أو توضيحاً له ، وذلك ما أقدمت عليه في مجلة الرسالة يوم آنست من جانب النقاد ميلا إلى إدراج الرمزية المستحدثة التي في « مفرق الطريق » في الرمزية الأولى إدراجاً لا استدراك فيه ، فشرحت يومئذ خاصية الرمزية التي في مسرحيتي وميزتها في تفاصيلها من الرمزية الأولى

(البقية في ذيل الصفحة التالية)



الشعاع المقيـــد!!*

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

« إلى هالة الوطنية التى تتفجر أنوارها من تمثال
رســول الجهاد الأول مصطفى كامل ... وهو
يرسف فى قيوده بين ظلام النسيان والجحود »

خُذْ أماناً منَ الشعاع الُمقيَّدْ   فهْوَ فى القَيْدِ جَمْرةٌ تتوقَّدْ
مِلْء ذَرّاتِهِ أناشيدُ مَجْـدٍ   بصداها مُحَرِّرُ النيل أنشَدْ
ذَرَّةٌ تَرْعِبُ الحـديدَ عَلَى الصَّمْـ
ـتِ! وَأُخْرَى فى الهوْل تُرْغِى وَتُزْبِدُ
غَلَّتَهُ بالأَمْسِ كَفٌّ ضَلولٌ   تَنصُرُ البَغْيَ بالُحسام الُمجرَّدْ
شَدَّ طُغيانَهَا عتِىٌّ منَ الغَرْ   بِ، على النِّيلِ كم طغى وَتَمرَّدْ!
ملَّكتهُ ــ والملكُ لله ــ دُنْيا   ظِلُّها عاجلُ الفناء مُبدَّد
فَمضَى فى مسابحِ الشَّرْق كالأقـــدار يُشْقِى كما يَشاء ويُسْعِدْ!
كم عَدا فاتِكاً! وأحكمَ أغلا   لاً عليها الرِّقابُ فى الشَّرْق تَشْهَدْ!
فى «فِلَسْطِين» ظُلْمُهُ أقلق الدُّنــــيا وما هَزَّهُ الصُّراخُ المرَدَّدْ
وعَلَى «مصرَ» كم أذلَّ وأرْدَى!   وتَمَطَّى على النُّجوم وَهَدَّدْ!
عَبقرىٌّ فى الختْلِ يُدْمِي وَيرْتَـــد على الجرْح باكياً يتوجَّدْ
كم سَقَى النِّيلَ مِن ضَراوَتِهِ الهوْ   نَ وعيشاً من الذِّلَّةِ أنكَدْ!
وتمادَى ... فكُنْتَ يا «مُصْطفى» الهوْ
لَ على هوْلِهِ تثورُ وَترعِدْ
فى غباءِ السِّنين، والنيل مُغْفٍ   وبَنُوه من سكرَةَ الضَّيم هُجَّدْ
قُمْت كالعاصف الُمجلْجِل تجتا   حُ فلا تنْثَنِىْ ولا تتردَّدْ
تُلْبِسُ القيْدَ مِن جنانك قَيْداً   حَزُّهُ فى الحديدِ نَقْشٌ مُخَلَّدْ
هَتفاتٌ بحُبِّ (مصر) وَموتٌ   فى هَواهَا! ونَشوَةٌ! وَتعبُّدْ

* من ديوان (هكذا أغنى) الذى يظهر هذا الأسبوع

يريد الأديب الفاضل السيد كامل الشرقاوى أن يؤلف المنشئ « كتباً مطولة عن الرمزية تكشف عن مناهجها وما يحيط بها لا توطئات مركزة دسمة إن هى أفادت فئة من الأدباء المطلعين على الثقافات الأجنبية اطلاعاً واسعاً فهى لا تكفى مطلقاً ذوى الثقافات المتوسطة من الأدباء، بله عامة القراء »

إن الأديب الفاضل يومئ ههنا إلى « التوطئة » التى صنعتها بياناً للمسرحية، وقوله فيها حق ؛ فأنى أردت أن تكون توطئة كما يصفها الأديب الفاضل ، وإنى لفرح بالنجاح إذ كنت أعلل النفس بأن أؤلف توطئة طريفة تدخل فى جانب الأدب « المركز الدسم » لا توطئة مقصورة على عرض المذهب الرمزى « من الخارج » كما تقول الفلاسفة ، بأن أسرد تاريخها وألم تفاريقها فى أسلوب موضوعى بصبيح : « إن هذه التوطئة ملفوظة من الكتب فما هى بثمرة تأمل وروية واجتهاد »

إنما المأمول فى المنشئ أن يدفع للقارئ غذاء روحانياً لا مواد كتب، وكلما « دسم » الغذاء و« تركز » جعل المنشئ القارئ يشاطره فنه . وتلك غاية الانشاء العالى الناهض على الروية والتأثر الدفين

فأبعد — إذن — بأدب الاطلاع وأدب التسلية !

(الاسكندرية) بشر فارس

رجع — وأما الجدل الذى أثاره الأديب الفاضل حول طريقة جبران خليل جبران فليقف عند تمسك كل منا برأيه

وَصلاةٌ بمجدها.. كُنتَ فيها الـــعابدَ الصبَّ، والشواطئُ معبدْ
وَذيادٌ عن حُرمةِ الوطن الشا   كي بعزمٍ «كنيله» ليس ينفدْ
وَدفاعٌ عن الحمى كُنتَ فيــهِ   ما لغير الحمى تَرومُ وتقصِدْ
فارسٌ في قتامَةِ النيل تمضي   بشهابٍ منَ السَّماء مُؤيَّدْ
مِشعَلٌ في يدَيْكَ شرَّدَ بالأضـــواءِ جُنحاً على الشَّواطيءِ أربَدْ
كُنتَ تَسري به فتُنهضُ فانيــنَ عليهم شيخُوخَةُ اليأسِ تقعدْ
بضياءٍ منَ الهدى أنعشَ الشَّرْ
قَ وطرْفُ الزَّمانِ في «مصر» أرمَدْ
وَبيــانٍ كأنه لهبُ «البرْ   كانِ» تختارُ جمرَه وتُنضِّدْ
كلُّ لَفظٍ منَ الصراحةِ سهمٌ   في حَشا الغاصبين ماضٍ مُسَدَّدْ
هاتِ لي من صَداهُ نَبراً لعلِّي   أنفثُ النَّارَ من صَدايَ المغرَّدْ
هاتِهِ فالجحود وَاراه في سجْــنٍ على شاطيءِ الليالي مُشَرَّدْ
في زوايا النِّسْيان قَبرٌ... وذِكرٌ...
ورُخامٌ في الصَّمْت لهفَانُ مُكْمَدْ
كاد يَنضو الأستارَ عنــه وينعى
أنا رَمزُ الفخار يا «نيلُ» فاشهَدْ!
أنا علَّمتُكَ الوُثوبَ على القَيـــدِ! وعلَّمْتني الأسى والتنهُّدْ!
ما الذي في الضِّفاف نَسَّاكَ رُوحاً
ذاقَ من أجلِكَ الرَّدى واستُشهِدْ؟
أشيُوخٌ على الكراسيِّ هاجُوا   وَهْيَ من بَغْيِهم تميدُ وَتَرْعَدْ؟!
أمْ شبابٌ على تُرابكَ يمشي   حَول ساقَيه كالأسير المصفَّدْ؟
خانعٌ في حِماكَ... ينتظرُ البَعْـــثَ ليمضي إلى الامام وَينهَدْ
عَلَّهُ.. الأرزاقُ في «مصر» رَهْنٌ   برَجاءٍ! وذِلةٍ! وتَوَدُّدْ!
كيف يُلقي بعزمه تحت نَعليـــه وفي الذلِّ يستنيمُ ويرقُدْ!!
ما الذي في الضفاف نَسَّاكَ يا «نيل»   هَوى ذلك الشجاع المقيَّدْ؟
فَتحت التِّمثال شبراً، عليه   تائهُ الدود في البِلَى يتمرَّدْ!
وَحرَمتَ الجهادَ فخراً من النُّو   رِ، يُهَدِّي إلى عُلاكَ وَيُرشِدْ؟!

محمود حسن إسماعيل

صوفيـــة الفن

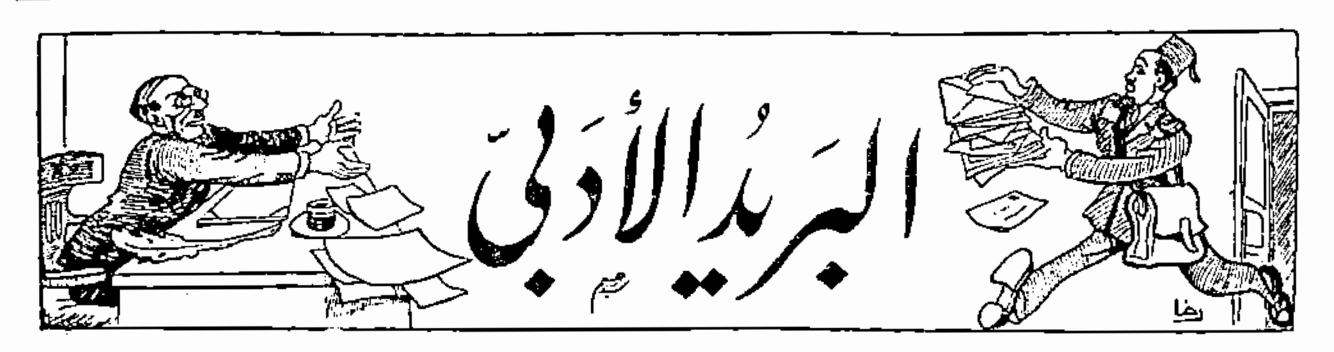
للأستاذ زكي المحاسني

ما لعينيك تسموان إلى الجـــو كطير لم يلق في الجو حدّا
وتبيت الدجى كأنك شبح   خافق في ظلامه ليس يهـدا
شُدهَ الناس من لقاك فظنـــوك سليباً في جاحم تتردى
ورآك الحبيب تدلف سهـــوان فبكّى وراح يلطم خدا
أنظرُ الغيبَ في مداه فلا تمـــلك عيني عن وجهه الحلو ردا
أسمعُ اللحن خلفه فأراني
هالكاً من صداي أبصرت وردا
وإذا لفنّى الظلام ترنّحـ   ـتُ على عِطفه وقد نمت سُهدا
إن يقولوا إني جننت يصيبوا   فأنا قد فقدت بالعقل رشدا
والجميـــل الذي تحسر لو كا   ن حبيباً لصار لي اليوم نِدا
أنا روحٌ خرجتُ مني إلى الأفـــق البعيد البعيدِ قد عفت قِدا
طفت فوق الربى على الزهر أحنو   وتخذت الغمائم البيض مهدا
وهفا بي إلى الجمال خيــال   فتراءى فمًا وعيناً ونهـــدا
والصباح الندئ عطر أنفا   سي وكانت لي العشيات أندى

* * *

أيها الفن ما تقربت من عليا   ك إلا وازددت بالقرب بعدا
أنا أهـواك في السماء وفي الأر
ض وأسعى إليك ما اسطعت جهدا

زكي المحاسني



مجلس اسلامي أعلى بمصر

يهتم العالم الاسلامي في سورية والعراق وإيران والهند بالكتب التي أرسلها صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر إلى رجال الدين في الأقطار الاسلامية يواضحهم الرأي فيها على إنشاء مجلس إسلامي أعلى بمصر لينظر في إزالة ما أحدثته العصبيات والأهواء والبدع من الفروق بين أبناء الملة الواحدة ليعود المسلمون إخواناً في الهوى والرأي والعقيدة. وقد علمنا أن أهم أغراض المشروع هي:

(١) تقوية روابط الأخاء بين المسلمين في جميع أنحاء العالم

(٢) إيجاد التعاون بين الهيئات التعليمية في البلدان الاسلامية على نشر الثقافة على وجه العموم والثقافة الاسلامية على وجه الخصوص

(٣) تبسيط الكتب الدينية ليتسنى لعامة المسلمين فهم دينهم على الوجه الصحيح

(٤) تقريب وجهات النظر بين الطوائف الاسلامية حتى يشعروا بالأخوة الاسلامية التي تساعد على التناصر والتضافر والوحدة

والمفهوم أن سيتألف هذا المجلس من علماء المسلمين في جميع الأقطار الاسلامية على اختلاف مذاهبهم ثم ينعقد بالقاهرة في وقت معين من السنة فتعرض عليه المسائل والمشاكل والمقترحات فيضع فيها الرأي الموفق

بين مصر والمغرب

قدم القاهرة منذ أسابيع الأستاذ محمد المكي الناصري مدير معهد الأبحاث المغربية في تطوان حاملاً من سمو مولاي الحسن خليفة المنطقة المغربية المشمولة بالحماية الاسبانية إلى رجال الحكومة المصرية وإلى قادة الفكر بمصر — هذا الكتاب الذي يحدد الغرض من مقدمه، ونصه:

من سمو خليفة جلالة سلطان المملكة المغربية أعزه الله وأيد أمره « الحسن بن المهدي بن اسماعيل بن محمد »:

يعلم من هذا الكتاب الرفيع قدراً ومقاماً أننا أرسلنا حامله خديمنا الأرضى مدير معهدنا الخليفي بالعاصمة التطوانية الأستاذ الدراكة الألمعي الفقيه السيد محمد المكي الناصري مبعوثاً خاصاً من سمونا المعظم إلى مصر القاهرة رغبة منا في أن يقوم هنالك بتأسيس مثوى خاص لبعثاتنا العلمية التي عزمنا على إرسالها إلى القطر المصري الشقيق، وأن يضع الحجر الأساسي لمكتب ثقافي صرف ملحق بمعهدنا الخليفي نفسه لترتكز فيه العلاقات الثقافية التي تربط بين المغرب الجديد ومصر الحرة الناهضة، الحاملة للواء الزعامة في العالم العربي؛ وبالاجمال أرسلناه ليتخذ كل الوسائط المناسبة التي تجعل نخبة مواطنينا المغاربة على اتصال تام بالنهضة العلمية الكبرى التي أمد الله بها وادي النيل المحبوب، وليفسح المجال لمعهدنا الخليفي حتى يبلغ في ميدان المعرفة أقصى ما يمكنه من كمال. فالرجاء من رجال الحكومة المصرية الموقرة، ومن قادة الفكر المصري الباقرة، أن يساعدوا مبعوثنا الخاص حامل هذا الكتاب السامي على مهمته الثقافية المجردة، وأن يتفضلوا فيقابلوه بما هو أهله من العطف والتأييد والتقدير. أبقاهم الله تعالى لخير العروبة ومجد الاسلام، وحفظهم الله ذخراً للكنانة حتى يحرسوها على الدوام، والسلام

تطوان في ٢٨ محرم عام ١٣٥٧

وقد قدم الأستاذ المكي هذا الخطاب الملكي إلى صاحب المعالي الدكتور هيكل باشا وزير المعارف فصرح له بما يأتي:

« إن مصاير الأمم التي تتكلم اللغة العربية متحدة تمام الاتحاد من الوجهة الروحية، ولذا فانا نغتبط كل الاغتباط بربط العلاقات

الثقافية مع جميع البلاد الشقيقة ، وليس هذا الاتجاه اتجاه حزب من الأحزاب ، بل هو اتجاه جميع الحكومات المتعاقبة فى مصر فهو اتجاه ثابت دائم . ونحن مستعدون كل الاستعداد لمساعدة المغرب الأقصى فى جميع ما يطلب من الناحية الثقافية سواء بإرسال المدرسين المصريين إلى مراكش أو بقبول البعثات المغربية فى مصر . وإنى لأغتبط بالموافقة على مطالبكم التى قدمتموها للوزارة ، وكونوا مطمئنين إلى أن مصر ستقوم بأكثر مما تنتظرون منها »

وقد تم الاتفاق بينه وبين وزارة المعارف على إيفاد بعثة مغربية إلى مصر لا يقل عدد طلابها عن العشرين للدخول فى المدارس والمعاهد المصرية ، وإيفاد بعثة من الأساتذة المصريين تنتدبهم الوزارة للتدريس فى المدارس المغربية . وسينفذ هذان المشروعان اعتباراً من بدء السنة الدراسية الجديدة

معهد للثقافة الإسلامية فى اليابان

تقدمت الثقافة الاسلامية فى حكومة اليابان خطوة أخرى فتألف فيها معهد رسمى للثقافة الإسلامية . والغرض منه تعريف البلاد الإسلامية والشرقية أحوال تلك البلاد وعاداتها وطبائع سكانها وتنمية الروابط الثقافية والأدبيــة بين اليابان والبلاد الإسلامية كافة

وقد تلقينا العدد الأول من مجلة يصدرها هذا المعهد باللغة العربية جاء فى مقدمته عن أغراض المعهد والمجلة ودعوتهما للبلاد الإسلامية ما يأتى :

« إن الأمم الإسلامية التى اكتسبت فضائلها النفسية من محاسن الدين الاسلامى الحنيف لابد لها أن تطرب لهذا الصوت الذى يناديها من أقاصى الشرق طالباً منها المعونة والتأييد لتحقيق غرض مشترك سام يجلب الخير والبركات لا على اليابان والشعوب الاسلامية فحسب ، بل على العالم الانسانى بأسره

إن أملنا بشعور هــذا العالم السامى الحى وطيد بأنه سيتقدم نحونا بنفس الشوق الذى نتقدم نحن به إليه للعمل جنباً لجنب فى إنشاء عالم جديد يسوده السلام ويغمره الخير فى آسيا يعيش الجميع فى ظلاله بصفاء ووئام ويتمتع الكل بالراحة والنعيم المنشود والرخاء

إن هــذه المجلة ستعنى عناية خاصة فى أن تجعل نفسها همزة الوصل بين اليابان والاسلام وشعوبه ليعرف كل منهم الروابط الثقافية والودية ليتم التفاهم على أساس صحيح . وفى ذلك الخير للجميع والله ولى التوفيق »

التعاون العلمى بين مصر والأقطار الشرقية

تألفت فى دمشق هيئة أطلق عليهــا اسم « المكتب العربى القومى » ، ومن أغراضه توطيد صلات العلم والثقافة بين البلاد العربية المختلفة

وقد طلب هذا المكتب إلى وزارة المعارف إمداده بما يصدر عن الجهات الرسمية العلمية والثقافية من مؤلفات وكتب وقوانين إلى غير ذلك لضمها إلى مكتبه

وقد كتبت وزارة المعارف إلى وزارة المالية تطلب إليها رأيها فى هذا الطلب ، ذاكرة فى هذا الصدد أن ما يطلبه المكتب المشار إليه لا يكلف الحكومة شيئاً يذكر

رحلة علمية لدرس طرق القوافل

من أنباء لندن أنه وصل إلى ميناء سوثمبتون المستر سميتش والمستر مور من الأمريكيان ثم ســافرا إلى الاسكندرية بالطائرة « كابيلا » . وسيقومان برحلة تستغرق ثلاثة أشهر من النيــل إلى دجلة والفرات يتفقدان فى خلالهــا طرق القوافل القديمة ويقارنان بينها وبين طرق النقل الحديثة التى تستعمل اليوم

سفر بعثة علمية ألمانية من كوبنهاجن الى جرينلند

من أخبار برلين أن بعثة علمية ألمانية سافرت أخيراً على الباخرة « جرترودراسك » من كوبنهاجن إلى جرينلند للقيام بمباحث جغرافية وجيولوجية ونباتية وحيوانية وقد وردت منها البرقية الآتية : « لا يوجــد الآن جليد على سواحل جرينلند الشمالية . وقد نزلنا إلى البر بكل راحة والطوالع حسنة للقيام بأعمال مثمرة والجميع فى خير حال »

الاستكشافات القطبية

تلقت وزارة الخارجية دعوة موجهة للحكومة المصرية ، للاشتراك فى مؤتمر دولى خاص بالاستكشافات القطبية ســيعقد

فى مدينة برجن عاصمة النرويج فى ١٥ مايو إلى ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٤٠

وقد أحالت وزارة الخارجية تلك الدعوة إلى الوزارات المختصة للوقوف على رأيهـا فى هذا الشأن ، وستعرض أيضاً على لجنة المؤتمرات والمعارض فى اجتماعها القادم

العالم العربي كما تصوره جريدة انجليزية

نشرت جريدة إيكونومست مقالا رئيسياً بحثت فيه أحوال العالم العربي وأشارت إلى الاقتراح القائل بوجوب عزل فلسطين عن جوارها بسياج من الأسلاك . لكنها أوضحت أن فلسطين غير قابلة للعزل على الاطلاق ، لأنها محاطة من كل جانب بالعالم العربى ، وما من حاجز مادى يستطيع أن يمنع مليون عربى مقيمين فيها من الشعور والتفكير والعمل بالاتفاق مع أربعين إلى خمسين مليون عربى يعيشون فى مناطق واسعة من الأرض الداخلية

ثم قالت إن اللغة العربية هى اللغة الوحيدة فى ذلك الفضاء الواسع ، بل هي أم اللغات الشائعة بين الأهالى الحاليين فى آسيا الجنوبية الغربية وأفريقيا الشمالية ما خلا بضع جزائر غربية اللسان باق بعضها من الأزمنة السابقة لعهد العرب

فما هي الآمال القائمة اليوم فى بعض الصدور ؟ هل النزلاء الأوربيون الذين حلوا أخيراً فى مملكة العرب القديمة سيزيدون عدداً حتى يملأوا الأرض التى كانت إلى الآن عربية ؟ وهل يدفعون سكانها العرب أنفسهم على تخلية المدن والقرى والرجوع القهقري إلى الصحراء الجرداء القاحلة ؟

لا شك أن فى الدنيا بعض الصهيونيين يحلمون فى أن يجعلوا اللسان العبرانى لسان الشرق من حيفا إلى تل أبيب على الطرف الغربى من الصحراء السورية ، كما يوجد أيضاً بعض الفرنسيين الذين يحلمون مثل هذا الحلم ويرجون نقل لغتهم الفرنسوية من وهران والجزائر إلى الطرف الشمالى من الصحراء الأفريقيـة وتحويل من هنالك من البرابرة الذين لم يصيروا عرباً حتى الآن إلى فرنسيين

فهل هذه الأحلام الأوربية بالتوسع المظيم على نفقة العرب تخيلات وهمية أم سياسة عملية ؟

إن الرد على هـذا السؤال يتوقف على كيفية تأثر العرب بهذا الاندفاع الأوروبى . ان اشتراك اللغة وحدها لا يترتب عليه اشتراك فى الشعور الاجتماعى ولا اشتراك فى الغايات ولا فى الأمانى . وقد كان العرب حتى الآن متباعدين . ويستدل على عدم تضامنهم باختلاف الألوان الكثيرة على خريطتهم الجغرافية

فان فى العالم العربى اليوم أربع دول : السعودية واليمن والعراق ومصر ، مستقلة استقلالاً تاما ، وثلاثا على مقربة من الاستقلال وهى سوريا ولبنان وشرق الأردن ، واثنتين ممنوعتين من الاستقلال مكرهتين على قبول نظام الحماية الفرنسوية وهما : تونس والمغرب الأقصى ، وثلاثا محكومات فعلا بصفة مستعمرات مع أنهن فى الواقع ذوات أحكام مختلفة . ففلسطين تحت الانتداب البريطانى ، والسودان تحت السلطتين الانجليزية والمصرية ، وليبيا تحت السلطة الايطالية . وأخيرا الجزائر فان فيها ثلاث مقاطعات معدودة فرنسية كأراضى فرنسا الأصلية .

« وهكذا نرى العالم العربى فى حالته الحاضرة لا يختلف عن أيام الصليبيين . بل إن الخريطة الحاضرة تشبه خريطة تلك الأيام إلى درجة مدهشة

ففى تلك الأيام كانت فلسطين وتونس كما هما اليوم النقطتين المريبتين اللتين رسخت فيهما قدم الغزاة الأوربيين ، وكانتا كما هما اليوم نقطتى الخطر المميت . ومنهما انبعث قبلا كما ينبعث اليوم النداء السـامى إلى تعاون العرب الذى كان محسوبا مستحيلا وقتئذ كما هو محسوب الآن .

ان النورمان أخرجوا من تونس بقوة منقذين أقبلوا لنجدتها عليهم من المغرب الأقصى . وصـلاح الدين الأيوبى استطاع وقف الحملة الصليبية الثالثة بقوات متحدة تحت سيطرته من سوريا والعراق ومصر .

فهل ترى التاريخ يعيد نفسه ؟ ـ إن الأدلة التى تشير إلى ذلك عديدة .

نداءات الباعة فى القاهرة

فى العـدد الأخير من مجلة مدرسة اللغات الشرقية بجامعة لندن بحث قيم طريف عن نداءات الباعة فى شوارع القاهرة تحت عنوان A Selection of Cairo's Streets Cries وهو ما يسمعه الجالس على المقاهي أو الجائل خلال شوارع القاهرة ودروبها وأزقتها من مختلف النداءات التى يحاول الباعة أن يجتذبوا الجمهور بها إلى بضائعهم ، والتى يبذلون غاية جهدهم فى تنميقها حتى تكون مشوّقة ، وهـذا البحث جديد فى بابه لم يلتفت إليـه أو يُعْنَ به أحد قبل كاتبه مستر Heyworth Dunne ، فهذا المقال الطريف بمـا حوى من مختلف النداءات التى تقرب من مائتى نداء تصور جانباً من الحياة النفسية فى القاهرة للباعة المتجوّلين ، ويطلّ القارىء منها على أساليب العيش فى مصر ، إذ أنها تمثل صميم الحياة الاجتماعية ، ويذكرنا هـذا البحث بكتيب صغير الحجم ألفه أحد الأمريكيين منـذ أمد غير بعيد وقدمه رسالة لجامعة كاليفورنيا بأمريكا تناول فيـه الأمثال الدارجة عند أهل الشام وترجمها إلى الانجليزية وعلق عليها ، فمنحته الجامعة لقب دكتور فى الآداب

وعلى ذكر مجلة اللغات الشرقية نقول إن هـذه المجلة إحدى نشرات جماعة المستشرقين القيمة التى تعنى بالدراسات الشرقية على وجه العموم ، فتلتقى على صفحاتها أقلام أعلامهم ، متناولة شتى جوانب الحياة الشرقية والتفكير الشرقي ممثلين فى آدابه ودياناته وحركاته الاجتماعية ، ولقـد ظل الأستاذ سير دينسون روس أستاذ اللغة العربية بجامعة منشستر محرر هذه المجلة منذ نشأتها حتى العام الماضى ، ثم تولاها من بعده الأستاذ تيرنر وهو من أفذاذ المستشرقين الانجليز



التجرير فى الشعر

ارجوحة القمر

للشاعر اللبنانى صلاح لبكى

للأستاذ فليكس فارس

لا أحب هؤلاء المدعين التجديد في الانشاء المرسل والشعر المرسل الذين يحسبون أنهم يجيئون بالعجب العجاب إذا هم قلبوا أوضاع اللغة وتصرفوا بلهجاتها وروعة اتساقها ، فكأن تفكيرهم وشعورهم لا يقويان على الظهور إلا إذا خلقوا لنا لغة جديدة تقوى على اقتناص شوارد الخيال وجامحات التفكير فيهم ؛ وكأن البيان العربى الذى اتسع لأقدس وحى وأروع إلهام، قدفقد روحه وانحطم جناحاه فى هذه الأيام

لا ريب فى أن لشاعر الحضارة ما لم يكن لشاعر البداوة من الانطباعات الذهنية والتأثر ؛ ومن وقف عند القديم فى مجال التصور والانفعال كان مقلداً يجره البيان إلى المعنى إذ لا يملك تحكيم معناه ببيانه

نحن اليوم فى مرحلة يتنازع فيها إلهام الشاعر قوتان : قوة تفكيره وشعوره فى بيئة تختلف عن البيئة التى ألهمت الشعراء الأقدمين ، وقوة الأسلوب العربى الذى لا يسلس قياده إلا لمن اهتدى إلى مواضع المرونة فى قوته

إن من الشعراء الذين وفقوا إلى حد بعيد فى إلهامهم وبيانهم الأستاذ صلاح لبكى وهو ابن المرحوم نعوم لبكى صاحب جريدة المناظر (جدة صحف المهجر) الذى قضي حياته محلقاً فى أجواء السياسة والأدب فما جاراه إلا العدد القليل فى أوائل النهضة بلاغة وجراءة وإخلاصاً . وقد طوى جناحيه فى أواخر أيامه على صخرة جرداء كانت كرسياً لأول رئيس للمجلس النيابى فى لبنان

والأستاذ صلاح محام لامع قدير لم ينضب القانون معين شاعريته ، فالشاعرية الأصيلة كدوحة السنديان تنشب أصولها فى كل تربة وتتغذى حتى من الصخور

وقد نشر مؤخراً فى ديوان صغير بعض مقطوعات تعد بحق من نماذج التطور الذى لم يضل سبيله فى الشعر العربى فاسمعه يقول فى مقدمته:

ورب شعر نام عنه الفضا ... ء يجيل بعـــد أجيال
يحمل منى زفرة مرة ... مرثاة أحــــلامى وآمالى
ردده عنى فتى لم تدع ... منه الرزايا غير أسمال
مستأنساً بى جاهلا من أنا ... إنى أخو الباكين أمثالى

وإذا ما وصلت إلي مقطوعة العاصفة فاقرأها كلها فهى ستة أبيات تقرأ فيها قصيدة طويلة

إسمعى الإعصار يدوى فى الجبال ... إسمعى للغاب أنات طوال
إسمعي كم طائر تحت الظلام ... تائه بلله القطر السجام
يتوخى مأمنا حتى الصباح ... من ترى ينجيه من كف الرياح
إفتحى الكوة فى وجه السما ... وانظريها لبست ثوب الشقاء
وتوارت رهبة خلف الغيوم ... بعد أن أطفأت الريح النجوم
أغلقى الكوة فى وجه الرياح
للصباح
خبئى رأسك فى صدرى ونامى
يا غرامى

وعند ما تستوقفك قصيدة تشويق بمقدمتها الصوفية فاتل منها بصوت مرتفع هذه الأبيات لتشرك أذنك بما يتمتع به تفكيرك وشعورك من روعتها وسلاستها

رب يوم تمشين فيه إلى مغـــرب عمر الحياة دون رجاء
يلفح الريح فى طريقك والقر ... ويرسو عليك هم الشتاء
وتصيرين والضحى كبقايا ... علم رث تحت ستر الخفاء
نسجوه لكل مجد فلم يخـ ... فق بجو ولم يصن بدماء
وتبيتين دون ذكرى غرام ... كان دفء الصبا مجوز شقاء
فتعالى إنى فرشت لك الحب ... وعطرت بالحنـان هوائى
نتساقى الهوى وندخر للتذ ... كار نوراً لساعة الإمساء
حينا لا نعود نسكر بالحب ... ويمسى التذكار كل العزاء

فليكس فارس

الحروب الصليبية (*)

فى نهاية العصور الوسطى

تأليف الدكتور عزيز سوريال

الدكتور عزيز سوريال عطية أحد القلائل — بين المؤرخين العالميين — الذين كرسوا جهودهم لدراسة الحروب الصليبية فى عهدها الأخير ، ولإيضاح الصراع الهائل الذى كان بين الشرق والغرب إبان العصور الوسطى ، والذى كانت تذكي حماسته عوامل مختلفة بعضها مادي وبعضها روحى . ولقد أصدر منذ بضعة أعوام كتابه عن « حرب نيقوبوليس الصليبية » فلقى من تحبيذ الهيئات العلمية والجامعات الأوربية ما دفع مؤلفه للسير في هذا السبيل الشائك برغم ما يعترض سبيل الباحث من عقبات كأداء تكاد تصرفه عن متابعة البحث فى تلك الناحية

واليوم يفاجئ المؤلف المصرى باحثي التاريخ بكتاب آخر يضعه فى مصاف أقطاب مؤرخى هذه الناحية الصعبة الولوج ، إذ أصدر فى الشهر الغابر كتابه الثانى الضخم « الحروب الصليبية فى نهاية العصور الوسطى » فى قرابة ٦٢٠ صفحة من القطع الكبير ، أصدرته مطبعة ماتيوين فى انجلترا فى طبعة أنيقة ، ولقد شمل الكتاب من اللوحات الفنية الملونة وغير الملونة عدداً لايستهان به ، وقد نقلت هاتيك اللوحات من المخطوطات الأصلية الموجودة فى المتحف البريطانى ومكتبة الفاتيكان بروما وليدن وغيرها من مكاتب أوربا ، ولا مشاحة في أن هذه اللوحات تعين القارئ على تفهم كثير مما يلقاه فى ثنايا هذا السفر الضخم ، كما أضاف المؤلف لكتابه خرائط عدة منقولة عن مخطوطات الرحالة التركى پيرى رئيس ، الموجودة فى مكاتب برلين ودرسدن ، ولاشك فى أن الدكتور عطية قدذلل للقارئ السبيل بما قدمه له من خرائط رسمها بنفسه حتى يتفهم المرء من غير عسر مضمون أبحاث هذا الكتاب

وينقسم الكتاب إلى أربعة أقسام كبيرة ، استعرض المؤلف فى أولها تاريخ الشرق والغرب من حيث الحروب الصليبية وعلاقتها بالتاريخ العام فى تلك الفترة ، وشمل ثانيها تحليلاً للأصول الأوربية فى الدعاية لهذه الحروب ومشروعاتها المختلفة ، وألم المؤلف فى ثالثها بموقف الشرق بما فى ذلك أمم التتر والطوائف المسيحية الشرقية إزاء الحروب الصليبية ؛ أما الأخير فيفصل تاريخ الحملات الصليبية نفسها واحدة فواحدة . كل هذه المباحث فى عشرين فصلاً ، أضاف إليها الدكتور ع . س . عطية خمسة ملاحق منها ما هو منقول عن مخطوطات لاتينية لم تنشر بعد ، ورأت النور لأول مرة على صفحات الكتاب ، ومنها ماهو تحليل لما اكتشفه المؤلف من رسائل سلاطين المماليك فى ذلك العهد النائى للملوك أرغونة ، وينتهى الكتاب بفهرس للمراجع الخطية والمطبوعة من عربية وتركية ولاتينية وفرنسية وانجليزية وإيطالية وألمانية . الخ

ولقد جاء فى تقدمة الناشرين : « إن مؤلف هذا الكتاب الهام — الذى برهن على مقدرته في تناول البحث بمجلده السابق عن حرب نيقوبوليس — يستعرض اليوم فى كتابه الحاضر ذلك التاريخ الذى تعتبر نيقوبوليس آخر فصل فيه ، ونحن نعتقد أن المشاق التى تجشمها فى هذا الصدد قد أسفرت عن عمل ذى قيمة علمية عظمى ، ولقد واصل المؤلف سلسلة دراساته لهذه الغاية فى المخطوطات » العربية بقارتى أوربة وأفريقية ، وهو إلى جانب إجادته لأحدث طرق البحث العلمى فى أوربة ، فإنه يتكلم الانجليزية كلغته الأصلية ، ومن ثم كانت نتيجة بحوثه سفراً علمياً دقيقاً ، وهو بالاضافة إلى كل هذا صورة حية للكفاح بين الشرق والغرب فى القرن الرابع عشر ، وتصوير لحال العالمين الإسلامى والمسيحى فى ذلك العهد السحيق . ومن ثم لم تكن ثمت مندوحة عن هذا الكتاب للمؤرخ والسياسى ولكل مشتغل بدرس الشؤون العالمية وتفهم أصول الصراع الحاضر فى شرق البحر الأبيض المتوسط » هذه هى كلمة الناشرين ، أما نظرية المؤلف فتتلخص فى أن الحروب الصليبية لم تنته بسقوط عكا — وهى آخر حصن للصليبيين — فى يد المسلمين عام ١٢٩١ ، وإنما بقيت هذه الحركة قوية حتى سنة ١٣٩٦ ، يدل على ذلك الاهتمام الشامل فى أوربا بأمر غزوة بيت المقدس والحروب التى قامت بها الدول ضد المسلمين فى مصر وشمال إفريقية وسورية وتركيا ، فكأن المؤلف بذلك ينفى الفكرة التى شاعت بين المؤرخين فى هذه الناحية حتى وقتنا هذا ، وهو بذلك يضع أساساً جديداً لاستعراض تلك الدراسة . ومن رأيه أيضاً أن نتيجة هذه الحركة قيام الامبراطورية المصرية بالقضاء على ملك المسيحيين بالبحر الأبيض المتوسط وتوغل الأتراك فى أوربا نفسها

والمؤلف المصرى جدير بما أحلته إياه جامعات أوربة وتسابقها فى الاحتفاء به ، وهو بعد كل شىء نخر لمصر فى عالم البحث والتحليل

ع . ع

* Or Aziz S. Atiya : The Crusade in the Later Middle Ages (Methuen) 30

عصفور من الشرق

تأليف الأستاذ توفيق الحكيم

للأستاذ علي الطنطاوي

الأستاذ توفيق الحكيم أكبر أدبائنا القصصيين . لا يكاد ينازع في ذلك أحد ، ومن أكثر الأدباء إنتاجاً وأخصبهم قريحة . عالج أنواعاً من القصة فوفق فيها وأتى بالمعجب المطرب، ومن ذلك قصته الأخيرة « عصفور من الشرق » التي فرغت من قراءتها الآن، فأحسست كأني كنت في جنة سحرية ، ثم هبطت إلى الأرض ، وتمنيت لو طال نفس الأستاذ فيها حتى ما تنتهي .

وأكبر ما أعجبني فيها هذه النظرة إلى الغرب وماديته ، وهذه القولة الجريئة في بيان حقيقة الغرب وتخلفه في ميدان الروح ، على سبقه في مجال المادة، تلك التي لو قالها غير الأستاذ توفيق الحكيم لاتهمه هؤلاء المفتونون بالغرب من شبابنا بالجمود والرجعية وما إلى ذلك من الألفاظ التي حفظوها حفظ الببغاوات ، وما فتئوا يرددونها ترديد الحاكي ، فلما قالها الأستاذ الحكيم وهو الذي يعترفون بأدبه ، ويقرون بسمو منزلته ، ويتمثلون بأقواله ، سكتوا ولكن على مضض . وهذه ميزة كبيرة للقصة ترتفع فيها إلى صف القصص العالية التي لم تنشأ لمجرد اللهو ، ولا لامتاع القارئ بالجمال الفني ، وإنما جمعت إلى الجمال الفني نظرة تحليلية إصلاحية عميقة ؛ غير أني أخذت على القصة أشياء ، منها ما يتصل بالفن ، ومنها ما يمس الدين ، ومنها ما يعود إلى اللغة . أسأل عنها الأستاذ الكبير ، ليوضح منها ما خفي ، ويفتح ما استغلق

أولها : إن القصة تكاد تكون مؤلفة من حلقات ثلاث لا صلة بينها إلا صلة محسن الذي يمر فيها جميعاً ، أندره وأمه العجوز وزوجها الهرم ، ودارهم التي وصفها المؤلف وبيّن أنه لا مورد لشيخي الدار إلا ما يأتي من محسن ، وبدا للقارئ أن بين محسن وأهل الدار أكثر مما يكون بين مستأجر وبين أصحاب المنزل . فلما انتقل محسن إلى المنزل ، انقطع الحديث عن والدي أندريه وعن منزلها ، على حين أن القارئ يتشوف للعودة إلى حديثهما ، وما كان من أمرهما بعد انتقال محسن

والحلقة الثانية : سوزي التي أحبها محسن وشغف بها ثم انتهت العلاقة بينهما على هذا الشكل ، ولم يرجع لها في القصة ذكر ، مع أن القارئ يحب أن يسمع شيئاً عنها ويعجب من محسن هذا الذي كان مستهاماً عاشقاً ، لا يفكر إلا في هذه التي يحبها ، كيف ينساها أبداً ولا يجري اسمها على لسانه ولا تمر صورتها في جنانه ، ولا يبقى لها أثر في نفسه ؟ ما هكذا عهدنا المحبين يفعلون ، فأي حب هذا ؟

والحلقة الثالثة : إيفان الذي أنطقه المؤلف بأصح الآراء وأعمها في حضارة الغرب ومذاهبه الفكرية ، وهي حلقة منفردة عن الحلقتين ، ولكنها حلقة مفرغة ، ليس فيها نقص ولا خرم

أما ما يتصل بالدين ، فهو أن الأستاذ ينظر إلى السيدة زينب نظر المسيحيين إلى القديسين والشفعاء ، فيسميها حامية ، وينسب إليها الضر والنفع ، ويطلب منها ويتوسل إليها ؛ وهذا كله مخالف لروح التوحيد الذي جاء به الاسلام ، فليس في الاسلام حماة ولا وسطاء بين الله وعباده ، ولا ينفع ولا يضر إلا الله ، وإذا كان الله يقول لرسوله الأعظم : (ليس لك من الأمر شيء) وإذا كان النبي يقول لابنته فاطمة : (يا فاطمة بنت محمد ، لا أغني عنك من الله شيئاً) فماذا تصنع السيدة زينب للأستاذ الحكيم ؟ وكيف تحميه من الله الذي لا يشفع عنده واحد إلا باذنه ، فهل أذن لها الله بحماية الناس ، أم إن من الناس قوماً (شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) ؟

أما ما يعود إلى اللغة ، فشيء يعرفه الناس من لغة الأستاذ ، لا حاجة إلى بيانه

هذا وإني أهتبل هذه الفرصة لأرفع إلى الأستاذ الكبير تحياتي وإكباري

علي الطنطاوي